مهندسة
اعتصام أحمد الصراف

# أختي المسلمة سبيلك إلى الجنة

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله الذى خلق الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا صاحبة ، خلق كل شيء بالحق لغاية مطابقة لإرادته وخلق السموات والأرض وسخر كل شيء بينهما لنا :

﴿ هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ﴾ . ( سورة البقرة ٢٩ ) .

وما خلق ماخلق وسخر ماسخر إلا لأجل أن يعبد وحده ويكفر بما دونه ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ . ( سورة الذاريات ٥٦ )

وتوعد سبحانه الناكبين عن الصراط ، المعرضين عن عبادته بهتانا وإفكاً وطغيانا وكفراً فقال :

﴿ ويل لكل أفاك أثيم ﴾ ( سورة الجاثية ٧ ) . وقال تعالى : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ ( سورة محمد ١٢ ) .

وقال : ﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ ( سورة محمد ٢٧ ) .

ثم هو سبحانه يستنكر على أهل الكفر كفرهم وموقفهم الذى يجرهم إلى بلاء لايطاق ، وعذاب لايفتر .

﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا ، السماء منفطر

به كان وعده مفعولاً ﴾ ( سورة المزمل ١٧ ، ١٨ ) .

﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ ( سورة البقرة ٢٨ ) .

وبينما هو سبحانه قد أعد سعيراً وحريقاً لاصحاب النار وأهل الضلال .. فقد أعد نعيما مقيما ، ورضوانا خالداً لأهل طاعته ، المستمسكين بشرعته البائعين له سبحانه أنفسهم ودماءهم وأموالهم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد :

فقد رأيت فى هذا الكتاب أن أستعرض فيه سبيل المؤمنين والمؤمنات إلى الجنة ، فى مجموعة أبواب تدور موضوعاتها حول محور واحد جعلت منه عنوان هذا الكتاب .

ولقد كان أمر مخاطبة المرأة المسلمة وما يزال يحتاج إلى لمس لمواطن الشعور فى أنفسهن .. الغائرة فى قلوبهن والكائنة فى عقولهن وهو شيء يتطلب كثير دراية بهن وبأحوالهن ..

وراعيت أن تأنس المرأة لمن يخاطبها من ذوات جنسها فأبرزت لها هذا المؤلف وآثرت أن يكون متنوع الأبواب حول محور فكرة واحدة تلك الفكرة الشاملة الجامعة التى تربط السبيل بغايته والوسيلة بالهدف وسميته :

« سبيل المرأة المسلمة إلى الجنة »

أسأل الله أن يكون عملاً خالصاً لوجهه يرضى به عنا إنه سميع مجيب

المؤلفة

# الطـريق ما هـــو ؟! ..

**جاء فى الصحيح :**

« مامنكم إلا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان .. فينظر أيمن منه فلا يجد إلا ماقدم ، وينظر أيسر منه فلا يجد إلا ماقدم وينظر أمامه فلا يجد إلا النار .. فاتقوا النار ولو بشق تمرة » .

إن مايقدمه المرء هو رصيده من الإسلام ..

إن الإسلام ليس كلمة تقال ولا هى شعار أجوف يرفع إنه منهج للحياة بأسمى ماتدل عليه .

**﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾** . ( سورة الأنعام ١٦٢ ) .

لقد خلق الله الإنسان ليعبده .. وإن تلك هى إرادة الحق وغاية الحق من أجلها خلق هذا الإنسان .. ومادونها باطل ..

قال تعالى : **﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** ( سورة الذاريات ٥٦ ) .

وعليه فما دامت الغاية من خلق الإنسان ليست إلا عبادة الله تعالى فإن كل ما كلفه الله به لايمكن أن يكون إلا لتحقيق هذه الغاية .

فلا شيء مما كلفنا الله به ـــ من صلاة أو زكاة أو حج أو جهاد أو صبر أو خشوع أو تحجب أو تطهر أو غيره إلا وهو جزء من العبادة بداهة .

إن الذين يظنون أن الإسلام كلام وألفاظ مجردة من ثياب العمل هم أناس ـــ رجالا كانوا أو نساء ـــ واهمون كالنظارين إلى السراب يحسبونه ماءً

إن الخيال شيء والحقيقة شيء آخر .. إنك ليمكنك أن تفترضي معى أنه لو أمكن أن تقوم عبادة الله بغير صلاة مثلاً فلم يفرضها علينا وهو الذى لم يكلفنا بغير عبادته .

وقولى ذلك فى الزكاة والحج والحجاب والولاء وغير ذلك من التكاليف .

لقد وجدت أن السبيل لبيان الطريق أن استعرض جملة من النصوص التى حددت هيكل الالتزام أو جزءاً منه .

وبداية أقول :

إن النص القرآنى أو الحديث الصحيح النبوى هو وحدة البناء الحقيقى للشخصية المسلمة بحيث إنه يحدد النقاط على منحنيات الطريق يرسم الكيان الإسلامى للشخصية المسلمة .. كأهم عنصر من عناصر تنفيذ مقررات الشرع وفروض المنهج .

وعليه فقد وجب التنبيه بشدة إلى مدلولات النصوص على كونها لوائح وقوانين محددة الأبعاد واجبة التحقيق بمأخذ التدقيق،وكذا فقد وجب التنبيه إلى سرعة تناول مدلولات النصوص بشكل عملى دون تباطؤ ولا تأجيل ، إن تعظيم شعائر الله وحرماته لهى دليل على تقوى القلوب .

﴿ **ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له** ﴾ ( سورة الحج ٣٠ ) .

﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ ( سورة الحج ٣٢ ) .

وعليه فإن أول صفة يجب أن يكون المرء المسلم عليهما هى « تعظيم شعائر الله وحرماته » .

إن الكيان البشرى إذا أهدر فى نفسه قيم الأشياء تناولها تناولاً ميتا ــ ولو كانت عظيمة ــ وعلى نقيضه : إذا عظمت أو تعاظمت فى نفسه قيم الأشياء تناولها بكل تقدير وإجلال وتقديس وتنفيذ .. تلك هى تعظيم حرمات الله وتعظيم شعائره ــ ولو كانت صغيرة ..

قال ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه

بش »[1] .

ونذكر الآن مجموعة من أهم تكاليف الإسلام لتقف عليها كل امرأة موقف التنفيذ بدون تقصير والتحقيق بدون تباطؤ . فمن هذه التكاليف الصلاة والصيام والخشوع والجهاد فى سبيل الله،وصلة الأرحام وحسن الخلق وحسن الجوار والتوكل وإسدال الثياب على النساء والخمار وعدم الخضوع بالقول وفريضة الزكاة والحج والعمرة والولاء وطاعة الرسول ، والجماعة والسمع والطاعة والهجرة ، وغض البصر والعدل والقسط ورد الحقوق ، و بذل النفس والمال فى سبيل الله والدعوة له والبلاغ والصدع بالحق ومجاهدة الكافرين وقول الحق عند السلطان وإن كان جائراً ،وتشميت العاطس من المسلمين وتشييع الجنازة ورد السلام،وخصال الفطرة كلها وإطلاق اللحية ، والتقوى وخشية الله والتوبة ومراقبة الله تعالى والنصح للمسلمين والانتهاء عن كل ماجاء عنه نهّى فى النصوص والحكم بما أنزل الله،والتحاكم إلى شرع الله وتحكيم شرعة الله تعالى والكفر بالطاغوت والإيمان بالله وإقامة الوزن بالقسط والايثار والولاء والحب فى الله والبغض فى الله ، وهكذا كثيراً مما جاءت به النصوص،وسوف نفرد كتابا مستقلا إن شاء الله فى فروض الإسلام نفصل منه جملة الفروض التى جاء بها شرع الله .

إن الطريق إلى الله تعالى واحد والسبيل إليه واحد .

كان النبى ﷺ جالساً ذات يوم فخط فى الأرض خطاً مستقيما وفرع منه خطوطاً متعددة ثم قال : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ ( سورة الأنعام ١٥٣ ) .

غير أنه ينبغى أن يتنبه إلى أن صراط الله تعالى كما هو محدد الطريق فهو محدد الكم فى مجموع تكاليفه المنزلة المطابقة لمراد الله يوم أنزلها ــ لاتزيدها الأخبار المدسوسة عليها ولا تنقص منها المبتورة منها من هذه الأخبار .

---

( ١ ) وهكذا تجد النبى ﷺ يحدد طريق استحضار عظمه شعائر الله عن طريق استجلابها لتنساق هى تلقائيا بعد ذلك فى قلوب المتقين فيقول ﷺ : « اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا تباكوا » وهكذا .

و لم تكن إرادة الله بعبادته إلا بما أنزله فعلاً من التكاليف ، لذا فقد وجب على المسلمين أن ترقى عندهم وسائل العلم بتنقيح الأخبار وتحقيقها لا لغاية أن يعرف الصحيح الإسناد أو السقيم ، بل أكثر من ذلك ليعلم من هذه الأخبار ماهو الذى قاله النبى ﷺ فعلاً وخرج من فمه مما لم يقله و لم يخرج من فمه .

وهناك أمثلة من الأحاديث استقامت أسانيدها لكنها مردودة لمخالفة لفظها للفظ الأثبت منها والأوثق أو لوقوع بعض على المتون فيها كعلل الأدراج أو الشذوذ أو الاختصار والحذف والايجار، النقلى أو التقديم والتأخير والتبديل وما إلى ذلك .

## الإسلام منهج للحياة

يتصور الكثير أن الإسلام عبارة عن اتجاه روحى فقط لايمت إلى واقع الحياة بصلة .

والحق أن هذا التصور يجىء لمن لم يكلفوا أنفسهم مجرد الاطلاع فى نواميسه وصحائف كتابه .

بيد أننى أردت أن أثبت هنا حقيقة أن الإسلام منهج دولة — مهما اتسعت رقعتها أو امتد قطرها حتى ولو شملت الأرض جميعا .

لقد دون القرآن فى آياته والرسول المرسل فى حكمته الدعائم الدقيقة لقيام مؤسسات سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وغيرها من أدق النظم التى لم ولن يأتى فى تاريخ البشرية أجل ولا أدق منها .

غير أن مانراه اليوم من تدهور لحال المسلمين وانحدار أمرهم إنما جاء أصلا متزامنا ومتكافئا مع حركة البعد عن كتاب الله وحكمة نبيه ﷺ .

« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا . أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال : لا بل إنكم غثاء كغثاء السيل .. الحديث » .

وبين فيه أن سبب ذلك هو بعدهم عن نبيهم وكتاب ربهم . وهاهى النبوءة تحدث اليوم .

# ( ١ )

## التنافس الخفى بين نساء الدنيا وحور الجنة

لقد خلق الله تعالى آدم على صورته ، وكان أعظم تكريم لهذا الجنس البشرى هو أن خلقه الله تعالى كذلك ، ولم تكن الغاية من هذا الخلق إلا مطلق الطاعة لله الذى خلقه فسواه ..

ولم يكن أمر الله تعالى بسجود الملائكة لآدم غير تكريم بارز عملى لهذا الكيان البشرى المخلوق على صورته .

ولست أدرى كم من الملائكة فى مملكة الرب تبارك اسمه وتعالى جده سجد لآدم آنئذ، غير أننى أعلم يقينا أن الملائكة كلهم أجمعون[١] قد سجدوا لآدم ، ويدور بخلجى أنه مشهد جلل رهيب حينما توجه الملائكة كلهم بما لايحصى عددهم إلا الله الأوحد بالسجود لهذا الكيان البشرى .

والذى يروغنى أمام جلال هذا المشهد العظيم أن لايراه إلا الله رب العالمين ، ثم ذلك الإبليس الذى لن ينساه أبد الدهر حتى يوم الدين عندما رفض السجود لآدم مع الملائكة ..

لقد أوقع إبليس نفسه فى قهر لاتزيده الأيام إلا استعاراً واشتعالاً حينما خالف ربه وأبى أن يسجد حيث لم ير نتيجة هذه المخالفة إلا منظر الملائكة بأعدادها التى لاتحصى وأحجامها التى لاتكاد يعقلها بشر، وأجناسها النورانية الراقية تخر ساجدة لذلك الكيان البشرى المخلوق من طين .

فحفر الحقد على آدم كهفا فى قلبه ، وفجر الكبر دواعى التمرد فى نفسه حتى لم تترك من نفسه إلا كيانا عاجزاً امتزج منذ لحظة طرده من الجنة

( ١ ) ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ الآية .

بخمائر القهر فما يزيدها الزمان إلا تخمراً ولا تدفعها السنون إلا لتربو بقهرها ..

* * *

إن رجلاً يدرك كيف كرمه الله فى صورة آدم حين توقف الزمان قبل خلق آدم لحظة لايعلم قدرها إلا الله انحنت فيهاقامات الملائكة ساجدة لكيانه الطينى ــ كل الملائكة ــ هو رجل أدرك مكانته فى هذا الكون وقيمته فيه .

ولست بمطيلة إذا قلت إن هذه المكانة وهذه القيمة لم تكن إلا لدور لم تدرك الملائكة شرفه وكرامته ــ هو خلافته فى الأرض ــ لقد وضعت المرأة فى مكان خطير إذن بالنسبة للرجل حين انتزع خلقها منه وأدخلت فى قوامته ..

لقد وجب على تلك المرأة أن تجمع تكريم ذلك الخلق جميعاً فى تكريمها لزوجها ــ وأن يتمثل تقدير الملائكة جميعاً لهذا الزوج فى تقديرها لزوجها وتلك هى الوظيفة الصعبة والمسئولية العظيمة التى وضعت المرأة فيها أمام زوجها .

إن من السذاجة أن تتصور المرأة أن الله أسجد لزوجها فى كيانه الآدمى مجتمع الملائكة كله ثم هى تأتى لتحط من قيمته وتكيل له وابلهامن المهانة .

« إن الله لايشكر لامرأة لاتشكر لزوجها »

لقد خلق الله تعالى جنساً مشابها لجنس المرأة يحقق من خلاله تكريمه للرجل إذا حطت بمقدراته نساء البشر ..

وبسط سبحانه وتعالى بساط التنافس بين هذا الخلق فى صورة حور الجنة وبين نساء الدنيا يحاولن التنافس على تكريم الرجل لتقارب فى فعلها بعض ماتفعله حور الجنة ..

وكم هو ــ أى الرجل المؤمن ــ كريم عند الرب فقسم له نصيبه من الحور العين حتى وهو فى الدنيا لكنهن ينتظرنه .

إنك لا تعلمين كم زاد الله تعالى فى كرامة الرجل حين أنزل تلك الحور إلى سماء الدنيا ينظرن أزواجهن من خلف السحب تشوقا وانتظاراً يرقبنه بتشوق .

قال النبى ﷺ : « لاتجف الأرض من دم الشهيد حتى تظله زوجتاه من الحور العين كأنهما ظئران أظلتا فصيلهما ببراح من الأرض »(١) .

والظئر هى الناقة المرضعة تظل وليدها الرضيع من حر الشمس عندما تسير فى أرض فلاة تسطع فيها الشمس وتلفح بحرها الأرض .

إن النبى ﷺ ليبرز للمرأة المسلمة منافسها الذى لايكل ونظيرها الذى لايمل فى عالم الوجود الراقى فى أعنة السماء وفى حياة الرياض من خلف السحاب المعد بأحسن شكل والمجهز فعلاً بأروع صورة .

فكم تكون المرأة من أوضع الخلق حين تؤذى زوجها .

وكم يجب أن تزدرى نفسها إذا هى قدمت لزوجها قدراً من المهانة أو العنت فلم تأل فضلاً فى أن يئول إليها مناط تكريم زوجها إلا تنافساً مع هؤلاء النسوة الكرام والحور العين .

ولم يكن الرجل عند الله ــ ذلك العبد المؤمن ــ إلا كريما عزيزاً يغضب الله إذا امتهن عبده .. ويعلن حربه على من حاربه .

فهو سبحانه يقول فيما ورد عنه فى الخبر « من عادى لى ولياً آذنته بالحرب » .

وهو سبحانه يوكل نساء الجنة أن يرفعن رايات العزة وشامات الكرامة لرجالهن حينما تقدم لهم زوجاتهم فى الدنيا الأذى ولو قل :

قال ﷺ : « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » ( رواه الترمذى ، وأحمد )(٢) .

---

( ١ ) رواه أحمد فى مسنده .

( ٢ ) الترمذى ( ١١٧٤ ) وقال حديث حسن ، وأحمد ( ٥ / ٢٤٢ ) وهو من رواية إسماعيل ابن عياش عن شيخه بحير بن سعد وهو شامى ورواية اسماعيل عن أهل الشام صحيحة .

وهو سبحانه الذى جعله فى بيته سلطانا مكرماً أبى على المرأة إلا أن تطيعه فى نفسها وتوطى له نفسها وترى عزها فى تذللها له .

قال ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » ( رواه البخارى ومسلم )[1] .

كم هو ذلك الزوج المؤمن ـــ عند ربه كريم مكرم عزيز محبب .

لقد وجب على المرأة المسلمة أن تنظر لنفسها لترى مكانتها من زوجها .

لقد عبر النبى ﷺ عن ذلك المعنى فى حديث عمة حصين بن محصن حينما جاءت النبى ﷺ فى بعض الحاجة فقال : أى هذه ؟! أذات بعل ؟ قالت : نعم ، قال . كيف أنت له ؟! قالت : ماآلوه[2] إلا ماعجزت عنه ، قال : فانظرى أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك »[3] .

ياالله .. كم هى ـــ تلك المرأة ـــ من بنات جنسنا فى خطر عظيم أن يكون مكانها من زوجها قاعدة من النار .

وكم هى فى شر وبيل أن يكون مكانها من زوجها درباً إلى الشرار .

وكم هى فى خسران وضلال أن يكون مكانها من زوجه تقصيراً وإدلالًا وامتهان ، ألا يحق لحور الجنة إذن أن ينازعنها الهبة البشرية المعطاة لها ـــ زوجها ـــ

وكذا ألا يحق لها أن تكون مزدراة إذن حين تسمح لحورية الجنة أن تدعى عليها « قاتلك الله » « لا تؤذيه » « فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » .

* * *

---

( ١ ) البخارى ( ٩ / ٢٥٨ ) ، ومسلم ( ١٤٣٦ / ١٢١ ، ١٢٢ ) .

( ٢ ) ماآلوه أى ماادخر فى إرضائه والقيام على خدمته جهداً إلا حينما أعجز عن ذلك .

( ٣ ) رواه أحمد ( ٤ / ٣٢١ ) والحاكم فى المستدرك ( ٢ / ١٨٩ ) وصحيحه ووافقه الذهبى وهو كما قالا وأورده المندرى فى الترغيب ( ٣ / ٧٤ ) وقال رواه أحمد والنسائى بإسنادين جديدين . وكذا أخرجه البيهقى ( ٧ / ٢٩١ ) والنسائى والعشرة .

# ( ٢ )

# وصـف الحـور العيـن

يعجب القارىء لما قدمت لهذا الفصل من الكتاب بوصف الحور العين على رغم أننى أخاطب المرأة من نساء المؤمنين .

غير أن العجب يزول إذا علمنا أن غريزة التنافس لاتصحو فى نفوس البشر إلا إذا قدمت إليها عوامل المقارنة بدواعى المنازعة أو بمعنى آخر .. فقد أردت أن أصارح المرأة من جنسنا نحن النساء بأن هناك من سيفوز بأزواجنا إن نحن لم ننافسهم على تكريمهم المقرر وتعزيزهم المقدر .

بيد أننى أردت أن أصف خطورة المنافسة بيننا كنساء وبين منافسنا الخطير وهم الحور العين ..

ذلك لأن موازين المنافسة خطيرة وشديدة فكلها فى كفة الحور العين إلا ميزانا واحداً ترجح به كفة النساء فى الدنيا إن هن أخذن به وهو التفانى فى طاعة الله ثم طاعة الأزواج وشدة تقديرهم من داخل دائرة الإيمان وقاعدة الإحسان والإسلام بحيث يصل وصف هذا التفانى كما عبرت عنه عمة حصين بقولها : « ما آلوه إلا ماعجزت » .

ولن تتوفر فى النفوس غرائز التنافس إلا إذا قدمنا وصفا دقيقاً لطبيعة المنافس العنيد لجنس النساء وإليكن هو ..

## أولاً : صفة الحسن والجمال الخلقى والتكوينى :

بدايةً .. أقدم هذا الوصف لتعلم كل امرأة أنها بالفعل عاجزة أن يكون عندهن ما عند الحور من النساء فى تكوينهن البدنى وبراعة حسنهن الخلْقى ..

ولم أقصد بذلك إلا أن أنبه المرأة المسلمة أن تبحث فى أسباب التكافؤ عما يعوض عندها تلك الصفة المفقودة عندها والتى توافرت بكثرة وشدة فى الحور العين ..

أما عن عموم الحسن وإبداع الخلق وبراعة الجمال فقد قال تعالى : ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ ( سورة الرحمن ٥٨ ) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فيهن خيرات حسان ... حور مقصورات فى الخيام** ﴾ ( سورة الرحمن ٧٠ ، ٧٢ ) .

وفى سورة الواقعة يصف الله تعالى شدة حسنهن يقول جل من قائل : ﴿ **وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاءَ بما كانوا يعملون** ﴾ ( سورة الواقعة ٢٢ — ٢٤ ) .

وفى تصوير إبداع خلقهن يقول تعالى : ﴿ **وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً عرباً أترابا** ﴾ ( سورة الواقعة ٣٤ — ٣٧ ) .

ويصف القرآن لنا جملة حسن ألوانهن ورقة خلقهن ووداعة نفوسهن بأبلغ تشبيه : ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ ( سورة الصافات ٤٩ ) .

ويقول تعالى : ﴿ **وكواعب أترابا** ﴾ ( سورة النبأ ٣٣ ) .

ومعنى كواعب مفردها كعاب وكاعب ومنها كعبت الجارية أى بدا ثديها للنهود فهى كعاب وكاعب . ( مختار الصحاح ) .

والمعنى أنهن ناضجات التكوين ناضجات النهود والصدور ، وقد عبر عن ذلك هنا لأن فى نضج النهد عند المرأة متاع بالغ لدى زوجها — وهناك من نساء الدنيا من تفتقد إلى نهد ناضج لدى زوجها فقد أكمل الله هذه الصفة فى نساء الحور .

وعن تفصيل ذلك الخلق وحسنه .

## وصف عام مفصل :

روى الطبرانى فى « **معجمه** »[١] عن أم سلمة قالت : **قلت يارسول** الله أخبرنى عن قول الله : « **حور عين** » :

فقال : حور عين ، ضخام العيون أشفار الحور بمنزلة جناح النسر .

قلت : أخبرنى عن قوله : « **كأمثال اللؤلؤ المكنون** » .

قال : صفاء من صفاء الدر فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى .

قلت : يارسول الله أخبرنى عن قوله : « **فيهن خيرات حسان** » .

قال : خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه .

قلت : يارسول الله أخبرنى عن قوله : « **كأنهن بيض مكنون** » .

قال : رقتهن كرقة الجلد الذى يكون فى داخل البيضة مما يلى القشرة وهو آخر الغرْق .

قلت : يارسول الله : أخبرنى عن قوله : « **عرباً أترابا** » .

قال : هن اللواتى قد صرن فى دار الدنيا عجائز رمصا شمطا يصرن فى الجنة متعشقات متحببات أترابا على ميلاد واحد .

## صفة اللون والشفافية الجلدية والبدنية فى نساء الحور :

إننانستطيع أن ندرك تماما الوصف الذى انطوت عليه سياقات الأخبار الصحيحة الواردة فى لون نساء الحور ..

ذلك لأن تقدم صناعات الزجاج واستخلاصات الياقوت والمرجان قد صارت دقيقة بحيث يمكن للناظر أن يقرب إليه صورة تقريبية عن ألوان نساء الحور التى قربت إشباههن بالياقوت والمرجان وغيرهما ..

روى البخارى ومسلم[٢] فى صحيحيهما قوله ﷺ : « ... ولكل

---

( ١ ) هذا الحديث أخرجه الطبرانى عن بكر بن سهل الدمياطى عن عمر بن هاشم البدوى عن سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت « فذكرته » .

( ٢ ) بخارى ( ٦ / ٢٣٠ ، ٢٣٢ ) ، ومسلم ( ٢٨٣٤ / ١٥ ) .

واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن » إن تكاثف اللحم بحيث يعطى صورة شفافية من خلاله يدل على تكوين أنسجة نساء الحور بشكل مغاير تماماً لطبيعة تكوين اللحم البشرى بمعنى أنه خلقٌ خاصٌ يرجح جداً أن يكون نوراني ـــ فما أروعه ..

وقد ورد فى حديث الحور عن ابن كثير فى « نهاية البداية » قوله ﷺ : « وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها ولحمها وجلدها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك من الفضة فى الياقوت » .

لقد جاء الوصف بأن هذه الشفافية الجسدية مشربة بالبياض بشكل لايعطى جسدها عتامة بيضاء بل بياض شفاف رائع الحسن رهيب الجمال والوصف ..

وهكذا يقول تعالى : ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ وقد عرف عند العرب البيض المكنون ببيض النعامة المدسوس فى الرمال .

وهو ناصع البياض لم ير أبيض منه .

وقد روى أحمد فى المسند من حديث دراج عن الهيثم عن أبى سعيد مرفوعا : وفيه « ثم تأتيه إمرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة » وفيه : « فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك » .

وهذه الصفات من الشفافية المشربة بالبياض الناصع قد عبر عنها القرآن بألفاظ :

﴿ **اللؤلـؤ المكنـون** ﴾
﴿ **بيــض مكنــون** ﴾
﴿ **الياقوت والمرجان** ﴾

فكم نحن ـــ نساء الدنيا ـــ فقيرات الحسن ولو بلغ ما بلغ فعلى أى شيء تؤذى المرأة منا زوجها وقد أعد الله تعالى له هذا الحسن كله ـــ وليس هذا فحسب بل إليك فاسمعى :

## صفة البكارة ورفعة التذوق :

إن للبكر من نساء الدنيا عند الأزواج مذاقا ، وطعماً ــ لكن المرأة لاتصمد أكثر من لحظة واحدة عند زوجها لتصير بعد بكارتها ثيباً إلى الأبد ..

تلك اللحظة التى لاتستغرق أكثر من دقيقة تمن بها على زوجها أبد الدهر ــ وترقى بها عنده متربعة على قمة المحبة فى قلبه .

وهكذا تدللت عائشة عند النبى ﷺ بأنها البكر الوحيد التى تزوجها ..

وهكذا امتنت عليه ببكرتها تريد أن تفضل نفسها على سائر نسائه .. تدللاً واستلطافاً ..

ولم يخف النبى ﷺ حبه لها .. بل صرح به ..

سأله عمرو بن العاص يوماً قال « من أحب الناس إليك .. قال عائشة ... » ( الحديث فى الصحيح ) .

وقال فى نصيبه من حبه لها :

« اللهم إن هذا قسمى فيما أملك فاغفر لى مالا أملك وتملك » . ( حديث صحيح ) .

فإذا كانت هذه اللحظة هى ميزان المرأة طيلة عمرها عند زوجها فما بالك إن كانت المرأة أبد الدهر بكراً لاتتثيب وهو مالا يكون إلا فى حور الجنة ..

كم تكون فى ميزان زوجها إذن وكم تفوق بهذا نساء الدنيا جميعا ..

وإذا كان ذلك كذلك فكيف لامرأة من نساء الدنيا أن تكفر فضل ذلك الزوج فى وقت أعد له فيه من لا تتكافأ معها فى الفضل والمقدار خلقاً إلا برقة الطاعة وفضل الإيمان وعلو الخلق ..

إن النبى ﷺ يفتح على هذه القضية صفحة بارزة إلى يوم القيامة عندما قال : « يامعشر النساء تصدقن ، وأكثرن من الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر

أهل النار، قالت امرأة منهن : مالنا أكثر أهل النار ؟! قال : تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير » .. الحديث[1] .

وهكذا يقسم النبى ﷺ قائلاً :

« والذى نفسى بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها » .

ويبرز حق الزوج عند الله تعالى وما ينبغى أن يكون عليه عند المرأة .

« لايشكر الله لامرأة لا تشكر لزوجها وهى لاتستغنى عنه » .

فأين هؤلاء من أولئك ؟!! ألا تخجل امرأة تزدرى زوجها أو تنقص من قدره مقدار أنملة — ألا تخجل من نفسها وهى تنظر نفسها بجانب زوجته من الحور العين ونساء الجنة ؟!!

كم يساوى حسنها بجانب حسنهن ؟!
وكم تساوى رقتها بجانب رقتهن ؟!
وكم يكون قدر بكارتها بجانب بكارتهن التى لاتنقطع .

روى الطبرانى من حديث أبى هريرة : قيل يارسول الله : هل يفضى الرجل فى الجنة — وفى رواية : هل نفضى إلى نسائنا ؟ فقال : والذى نفسى بيده إن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة إلى مائة عذراء »[2] .

وهكذا أورده ابن وهب من طريق آخر عن دراج بسنده إلى أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل :

« أنطأ فى الجنة ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » .

ولم يتفرد بروايته دراج بل جاء شاهد له من حديث أبى سعيد الخدرى

---

( ١ ) رواه مسلم ( رقم : ٧٩ ) .

( ٢ ) رواه الطبرانى من حديث الحسن بن على الجعفى عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين عن أبى هريرة ( به ) قال الحافظ الضياء — يعنى فى المختارة — هذا عندى على شرط الصحيح » .

قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً »(١) .

إن الله تعالى ادخر للرجال من أهل الإيمان فى الدنيا نساء الحور فى الآخرة وهو جنس لم يعرف لوطئه قط : مذاق غير أنه سبحانه قد لوح لهم بذلك المذاق على أنه مما سيكافئهم به فهو حتما أعظم طعما عندهم مما يجدونه ويعرفونه من نساء الدنيا . قال تعالى : ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾ ( سورة الرحمن ٥٦ ) .

إنه حتما مذاق جديد ، غير أنه بالحتم أعظم قدراً مما هو عند نساء الدنيا . فأى كرامة تلك التى أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين ورجاله المتقين .

وأى تخاذل وذل ذلك الذى تنحدر فيه نساء الدنيا عندما يزدرين مارفع الله .. ويؤذين ماكرم الله أو يكفرن ماأعز الله .. ذلك الزوج المؤمن بربه .

## عدد ما للرجل من حور الجنة :

كثيراً ماتمتن المرأة منا على زوجها إن قدرت له وكانت من قسمه فى الدنيا وما علمن هؤلاء أن الله تعالى قد كرم عبده المؤمن بأن أعد له أزواجاً من حور الجنة هو أكرم عليهن من أولئك وأعز .

إن أقل مؤمن فى الجنة له من نساء الحور زوجتان .. روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال عن النبى ﷺ : « ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهما » ( رواه البخارى ومسلم )(٢) .

وقد وردت النصوص ببيان زيادة امتلاك المؤمنين لأكثر من هذا عدداً .

ففى حديث الصور : « فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله » .

---

( ١ ) وهو شاهد للأول وإن كان فيه معلى الواسطى .

( ٢ ) البخارى ( ٦ / ٢٣٠ ، ٢٣٢ ) ومسلم ( ٢٨٣٤ ) .

وفى حديث رواه أحمد لكن من طريق شهر بن حوشب عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا ، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » .

وهذا وإن كان من رواية شهر بن حوشب لكنه تفرد بهذه الزيادة : « لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » ولا يصلح تفرده .

وفى رواية دراج من حديث أبى سعيد الخدرى : « أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعين زوجة »[1] .

وقد روى عن طريق أبى أمامة مرفوعاً ولفظه « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة » .

وروى أحمد والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث مجالد بن سعيد بسنده إلى المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : إن للشهيد عند الله ست خصال : ( فذكره ) وفيه : « ويتزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » .

فما أقل حياء من لاتتقرب لزوجها بالتقدير والطاعة من نساء الدنيا ..

وما أهونها على الله وعلى الخلق جميعا من هان عليها أمر زوجها فازدرته أو غدرت به أو خانته ولم تحفظه أو خالفته ورغبت بنفسها عنه ..

## صفات فريدة فى حور الجنة لاتوجد فى نساء الدنيا :

### ١ ــ صفة الطهر والتطهر :

قال تعالى : ﴿ **ولهم فيها أزواج مطهرة** ﴾ ( سورة البقرة ٢٥ ) . ليس عندهن من الإفرازات ماعند نساء الدنيا مثل الحيض ، والنفاس والبول والغائط والبزاق والمخاط والنخامة والعرق أو الفثاء والضراط ..

---

( ١ ) هذا الحديث بهذا السياق من رواية ابن لهيعة عن دراج .

### ٢ ــ صفة العشق والتحبب :

لقد وصف الله تعالى حور الجنة بأنهن :

﴿ عرباً أتراباً ﴾

﴿ وكواعب أتراباً ﴾

وعرباً : أى متحببات إلى أزواجهن ، لا ترى حولها رجلا غير زوجها ولا تحب قط سواه ولا ينبض فؤادها ذرة إلا بحب، تنظر إليه فلا ترى رجلاً غيره فيصير أمره كله إلى قلبها وشأنه إلى فؤادها .. تلهبه بنظرات الود والتقرب ، فيسمع منها مالم يسمع من قبل فيلتهب وجدانه حباً وحنيناً وترميه بأجمل وأحسن ألفاظ الحب والتحبب والعشق والتعشق .

وقد روى ابن كثير ماجاء فى حديث الحور : « كلما جاء واحدة قالت : والله مافى الجنة شيء أحسن منك ، ومافى الجنة شيء أحب إلى منك » .

وينشدن غناء لا تضارعه امرأة ملكت مواهب الغناء فى الدنيا ــ ينشدنه تحببا لأزواجهن .

روى الترمذى وغيره عن على قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة مجتمعاً للحور العين ، يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن :

نحن الخالدات فلا نبيد
ونحن الناعمات فلا نبأس
ونحن الراضيات فلا نسخط
طوبى لمن كان لنا .. وكنا له[١] .

وفى حديث أنس ( مرفوعاً ) .

« إن أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط ، وإن مما يغنين :

نحن الخالدات فلا نموت
نحن الآمنات فلا نخاف

---

( ١ ) رواه الترمذى وغيره . ثم قال : وفى الباب عن أبى هريرة ، وأبى سعيد ، والحسن .

نحن المقيمات فلا نظعن [1]

### ٣ ــ صفة النضرة والشباب الدائم :

قال تعالى : ﴿ **عربا أترابا** ﴾ .

وأترابا : أى فى سن النضرة والشباب على ميلاد واحد .

فلا يعرف الشيب أو الهرم إليهن سبيلا . إن الله تعالى قد أعد لعباده جملة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وإن نضرة حور الجنة وربيع عمرهن نوارف رقة وحياة وحيوية لهو كمال نعيم الرجال المؤمنين فى الآخرة .

رأى النبى ﷺ امرأة عجوزا فقال : « لا يدخل الجنة عجوز » فذهبت المرأة تحمل همها بين جنبيها طيلة يومها حتى عادت إلى النبى ﷺ فأوضح لها أنه لن يكون فى الجنة هرم ولا شيخوخة وكلهن شباب ونضرة .

فهذه صفة نساء الدنيا حينما يصرن إلى الجنة فما بال نساء الحُسْن .. وحور العين ..

**إنهـــن « أترابـــا »**

لا يقفل ربيع عمرهن أبد الدهر .. يزددن كل جمعة حسنا وبهاء . ووضاءة وجمالا .

### ٤ ــ اقتصار الطرف ، والقصر فى الخيام :

لقد بات النظر وسيلة خطيرة من وسائل إقامة الجسور الخفية بين الناظرين .

تلك الجسور التى لايتطلب مدها وشق طريقها غير نظرة من المرأة إلى الرجل كائنا ماكان ..

وهى جسور رهيبة تدلل على تمدد الكيان النفسى للمرأة خارج دائرة

---

( ١ ) ابن كثير فى النهاية ( ٣٣٩ ) من رواية ابن ذؤيب عن عون بن الخطاب عن عبدالله بن رافع عن ابن لأنس بن مالك عن أبيه ( به ) .

زوجها وحل أمرها وهى بشتى الوسائل وكل المقاييس تعد خيانة من المرأة أن تنصب بينها وبين غير زوجها خيوط المشاعر ولو قلت وحبال الوشائج ولو دقت ..

تلك الجسور التى يتمثل حدها الأدنى فى مدلول التطلع الغريزى من المرأة إلى رجل آخر غير زوجها ولو كان بتحديد الشكل أو بتقييم الحجم أو بتنويع الصوت .. وغيره .

لقد وصمت نساء الدنيا بوصمة النظر إلى مادون زوجها من الرجال — ولو اضطراراً — فكانت حتما نقيصة محسوبة عليها ورذيلة لاتكاد امرأة تسلم منها ..

وهنا كانت حكمة البارىء أن يعوض جنده .. ورجال دينه وأهل ولائه ونصرته بنساء كملت فيهن هذه الصفة من نساء الحور فميزهن بميزة كانت لنساء الدنيا تحديا .. وللعاقلات منهن علامة وإشارة أن يحاولن التشبه بها سموا وعلوا .. هى قصر الطرف على أزواجهن ..

قال تعالى : ﴿ **فيهن قاصرات الطرف** ﴾ والطرف هو منتهى مايصل إليه النظر من طرف المرئيات، وعبر عن العين بهذا اللفظ دلالة على آخر بعد تصل إليه العين فى الرؤيا والإبصار .

إنه لتشبيه رائع غاية فى البيان والبلاغة أن يدل اللفظ « قاصرات الطرف » على أمريـــن .

**الأول** : بيان أن طبيعة الخلق فيهن هكذا لايرون غير أزواجهن ، فقد تكيفت عيونهن البهية الواسعة الرائعة الحسن على أن لاترى إلا أزواجهن .

وأهمس من طرف خفى لبنات جنسنا والحياء يجتاح كياننا .. هل تستطيع إحداكن أن تعيش لزوجها مقصورة الطرف عليه ..

خاصة وقد جلسن فى الطرقات .. وخالطن الرجال فى الردهات .. وتعالت الهمسات ودوت الضحكات .. وتعانقت النظرات وتصافحت الأيدى والبسمات .

فكم قدر المؤمن عند ربه عظيماً .. وكم هو على خالقه عزيزاً كريما .
وكم تكفر المرأة من بنات جنسنا فضل زوجها وقدر بعلها .

**ثانياً :** بيان أن شدة حبها ــ أى الحورية ــ لزوجها هو كائن بدرجة يمسح على عينيها غشاء لاترى فيه إلا زوجها .. وهذا حالها أبد الدهر معه ..

وهذه لايشعر بها إلا من عاش وجدانا قاسياً وحباً جارفاً ،أمثال قيس بحيث ألبسه أليم القهر على محبوبته غشاء لم ير منه إلا ليلى[1] .

---

(١) هو قيس بن معاذ ويقال : ابن الملوح أحد بنى جعدة بن كعب بن سعد بن عامر بن صعصعة ، وسمى « المجنون » لشدة جنونه بحب ليلى ، وكانا يرعيان البهم وهما صبيان فعلقها علاقة الصبى وقال :

**تعلقت ليلى وهى غــر صغيرة ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم**
**صغيرين نرعى البهم ياليت أننا ... صغيران لم نكبر ولم تكبر البهم**

ثم نشأ وكان يجلس معها ويتحدث فى ناس من قومه ، وكان راوية للشعر حلو الحديث فكانت تعرض عنه وتقبل بالحديث على غيره حتى شق ذلك عليه وعرفته فقال :

**وكـل مظهـر للنــاس بغضــاً ... وكل عنـــد صاحبـــه مـــكين**

ثم تمادى به الأمر حتى ذهب عقله وهام مع الوحش وصار لايلبس ثوباً إلا خرقه ولا يعقل إلا أن تذكر ليلى فإذا ذكرت عقل وأجاب عن كل مايسأل عنه فسعى عليهم نوفل بن مساحق فرآه عريانا فكساه ثوبا فقالوا له أتعرفه قال : لا ، قالوا هذا المجنون قيس بن الملوح فكلمه فجعل يجيبه بغير مايسأله عنه فقالوا له إن أردت أن يكلمك كلاما صحيحاً فاذكر له ليلى فأقبل عليه يحدثه عنها وينشده شعره فيها فقال : أتحب أن أزوجكها قال : وتفعل ذاك ؟! قال نعم أخرج معى حتى أقدم بك على قومها فأخطبها لك فارتحل معه ودعا له بكسوة فلبسها معه وراح كأصح أصحابه فلما قرب من قومها تلقوه بالسلاح وقالوا والله لايدخل المجنون لنا بيتا أو نقتل عن آخرنا وقد أهدر لنا السلطان دمه فأقبل بهم وأدبر فأبوا عليه فقال له : انصرف فقال : أين ماوعدت قال : رجوعك أهون على من سفك الدماء فانصرف وهو يقول :

**يــا صاحبــى ألما بى بمنزلـــة ... قد مر حين عـليها أيما حين**
**فى كل منزلـة ديوان معرفـة ... لم يبق باقية رسم الدواويـن**
**إنى أرى راجعات الحب تقتلنى ... وكان فى بدئها ماكان يكفينى**
**ألقى من اليأس تارات فتقتلنى ... وللرجــال بشاشات فتحيينـــى**

وخرج رجل من بنى مرة إلى ناحية الشام والحجاز مما يلى تيماء فى بغية فإذا هو بخيمة قد رفعت له عظيمة فعدل إليها فتنحنح فإذا امرأة قد كلمته فقالت إنزل فنزل وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمر عظيم فقالت سلوا هذا الراكب من أين أقبل فقال من ناحية نجد فقالت ياعبدالله وأى بلاد نجد وطئت =

لكـم هى نعمـة أعطاهـا الرجـل أن يمتـلك حـس ومشـاعر ووجدان امرأته ــ كل وجدانها . لاتصرف منه ذرة إلى أحد غيره ..

كم هو فضل عظيم لايعطيه إلا الواحد الأوحد والرب الأكرم ..

إن خيانة المرأة لزوجها جرم عظيم يبدأ من النظرة إلى البشفرة .. ومن الهمسة إلى اللمسة ..

وكم تستحق المرأة إذا مهدت نفسها لغير زوجها أن تقتل رجماً .. وأن تدفن قبراً .. وكم تكون حقيرة ذليلة ــ ولو بدت غنية سميرة ــ إذا هى تطلعت لّرجل وهى مع رجل إلا أن تتوب إلى ربها وتعظم حق زوجها ولو كان مقعدا كفيفا ..

لقد وصف الله حور الجنة بقوله : ﴿ **حور مقصورات فى الخيام** ﴾ فأى وجدان ذلك الذى يستحوذ عليه ــ كله ــ ذلك الزوج الأغر .. والبعل الكريم .

## ٥ ــ صفة ريحها وضياء جسدها :

بداية أقول إن طبيعة الخلق الآدمى لأنه خلق من طين متغير الرائحة فإنه يحتاج دائما إلى تطهير ونظافة .. فإذا أهملت نظافته فاحت منه روائح كريهة يكرهها بنى جنسه ، والملائكة ..

---

= قال كلها قالت فيمن نزلت منهم قال بنى عامر فتنفست الصعداء ثم قالت بأى بنى عامر قال بنى الحريش قالت : فهل سمعت بذكر فتى منهم يقال له قيس يلقب بالمجنون قال : أى والله قد أتيته فرأيته يهيم مع الوحش فى تلك الفياف ولا يعقل شيئا حتى تذكر له ليلى فيبكى وينشد أشعاراً يقولها قال فرفعت الستر بينى وبينها فإذا شقة قمر لم تر عينى مثلها فلم تزل تبكى وتنتحب حتى ظننت أن قلبها قد تصدع فقلت ياأمة الله اتقى الله فوالله ماقلت بأساً فمكثت على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت :

**ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة ... متى رحل قيس مستقل فراجعْ**
**بنفسى من لا مستقل برحلـه ... ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع**

ثم بكت حتى غشى عليها فلما أفاقت قلت من أنت ياأمة الله قالت : أنا ليلى المشئومة عليه غير المواسية له فقال : فوالله مارأيت مثل حزنها عليه ولا مثل جزعها ولا مثل وجدها .

وقد أورد ابن قتيبة فى كتابه « الشعر والشعراء » . ترجمة مثيرة قصة « المجنون » نقلنا هذا الجزء منها فى مناط الاستئناس بأن شدة الحب تدفع صاحبها أن لايرى شيئا غير محبوبته ــ وهكذا حور الجنة إن تصورت أن وجدانها يكون ملتهباً عند دالك أضعافاً هكذا دلت عليه كلمة « عرباً أتراباً » .

وقد كرم الله تعالى عباده المتقين فى جنات الحياة الآخرة بأن خلق منهم خلقا لايزيدهم المكث إلا طيبا ومسكاً من الرائحة .. هن الحور العين ..

لقد هالنى الوصف حين وقفت أمام قول النبى ﷺ عن حور الجنة .

« ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت مابينهما ريحا ولطاب مابينهما »[1] .

وجاء فى لفظ البخارى فى « صحيحه » :

« ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت مابينهما ، ولملأت مابينهما ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » .

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا[2] بسنده إلى ابن عباس موقوفاً :

« لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها » وفيه :

« ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها مابين السماء والأرض » .

## ٦ ـ دعاء نساء الحور لأزواجهن فى الدنيا :

إننى إذ أذكر ذلك أضع المرأة المسلمة أمام مسئولياتها فإن كانت لاتعرف ماهى فعليها أن تنظر إلى زوجة بعلها وامرأة زوجها من نساء الحور كيف يكن لأزواجهن .

روى عكرمة فى « مراسيله » :

« إن الحور العين ليدعون لأزواجهن وهم فى الدنيا يقلن : اللهم أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبلغه إلينا بعزتك ، ياأرحم الراحمين » .

---

( ١ ) هكذا فى رواية أحمد عن أبى النضير عن محمد بن طلحة عن حميد عن أنس مرفوعاً ولفظه « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم ـ يعنى سوطه ـ من الجنة خير من الدنيا وما فيها ... الحديث » .

( ٢ ) نقله عنه ابن كثير فى « النهاية » .

وفى مسند أحمد بإسناد صحيح :

« لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت : زوجته من الحور العين : قاتلك الله إنما هو دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » .

* * *

# الجنة : غاية السبيل

﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً ﴾ .

( ٧٦ / الإنسان / ٢٠ )

قال تعالى :

**﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ .**

( الزمر / ٧٣ ــ ٧٤ )

روى أحمد فى مسنده من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكى ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وإن أفضلهم منزلة لينظر فى وجه الله تعالى كل يوم مرتين »(١) .

وروى الشيخان واللفظ لمسلم من حديث أبى هريرة مرفوعاً .

قال الله عز وجل . أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(٢) .

«ينظر أهل الجنات إلى بعضهم كل حسب درجته فى الجنة ، وإن أهل الغرف هم أعلى درجات أهل الجنة منزلة » ..

تتطلع إليهم الخلائق فى الجنان ، وينظر إليهم أهل الدرجات كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء .

---

( ١ ) رواه أحمد فى مسنده ( ٤٦٢٣ ــ معارف ) .

( ٢ ) ورواه أحمد فى مسنده ( ٥ / ٣٣٤ ) مرفوعاً إلى النبى ﷺ من قوله أيضاً .

قال ﷺ : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الذرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم ، قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم ؟! قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »[1] .

والكوكب الدرى الغابر : أى الكوكب اللامع المضىء البعيد جداً الذى إذا نظرت إليه العين يهرب من مجال أبصارها ثم يعود للظهور من شدة بعده .

وينزل المتحابون فى الله فى غرف فى الجنة كالكوكب الطالع ، ينادون : هؤلاء المتحابون فى الله[2] .

وصف قصور الجنة نسأل الله أن نكون من أهلها :

وقصور الجنة بناؤها : « لبنة[3] من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها — أى بياضها أو محارتها — المسك وحصباؤها : اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييئس ، ويخلد ولا يموت ، لاتبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه »[4] .

وفى رواية أنس : خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران[5] .

ومن طريق داود بن أبى هند عن أنس مرفوعاً .

« إن الله بنى الفردوس بيده ، وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر وكل سكير » .

وفى الجنة غرف يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها[6] .

---

( ١ ) رواه مسلم ( كتاب الجنة / باب تراءى أهل الجنة ) ورواه أحمد فى المسند ( ٢ / ٣٣٩ ) .

( ٢ ) الحديث فى مسند أحمد ( ٣ / ٨٧ ) من طريق أبى سعيد الخدرى .

( ٣ ) لبنة : أى طوبة أو الحجر الذى تبنى به الجدر .

( ٤ ) رواه أحمد مرفوعاً فى المسند ( ٧٨٠٣ — معارف ) والترمذى وحسنه وأخرجه ابن مروة وابن أبى شيبة من طريقه مثله عن ابن عمر .

( ٥ ) هكذا أخرجه ابن كثير وعزاه إلى ابن أبى الدنيا من طريق قتادة عن أنس وأبو داود مثله والبخارى عن طريق آخر

( ٦ ) عن على ابن أبى طالب عند الترمذى ، والطبرانى من حديث أبى الأشعرى ، وعبدالله بن عمرو وحسن اسناد أبى مالك الأشعرى الحافظ الضياء .

ولكل مؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا . للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا[1] .

وجاء أن الخيمة مدورة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً يدخل عليه من كل باب بهدية[2] .

وفى الجنة أنهار رائعة الحسن وديعة الانسياب عذبة المياه ، « فيها جنادل اللؤلؤ .. »[3] .

وهى سابحة على وجه الأرض ليست محفورة فى جوفها ، حافاتها اللؤلؤ وقبابها اللؤلؤ وطيبها المسك الأذفر[4] .

وفى الجنة نهر الكوثر قال النبى ﷺ « أتدرون ماالكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر وعدنيه الله عز وجل عليه خير كثير »[5] .

وفى روايـــة :

أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت : « ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل »[6] .

وفى رواية : « فضربت بيدى إلى مايجرى فيه الماء فإذا مسك أذفر »[7] .

وفى رواية لأحمد :

« ترابه مسك ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، ترده طيور أعناقها مثل أعناق الجزور » .

---

( ١ ) هذا لفظ مسلم ( ٥١ / ٢٣ ــ ٢٥ ) وعند البخارى ( ٥٩ / ٨ ) « ثلاثون ميلاً » .

( ٢ ) رواه ابن أبى الدنيا بسنده إلى ابن عباس مرفوعاً ، وفيه محمد بن حفص ويوسف بن الصباح .

( ٣ ) فى حديث المعراج أخرجه البخارى ومسلم .

( ٤ ) الترمذى وابن أبى الدنيا .

( ٥ ) رواه مسلم فى الصحيح .

( ٦ ) البخارى ومسلم وأحمد ( ٣ / ١٠٣ ) .

( ٧ ) عند أحمد فى المسند ( ٣ / ٢٣٦ ) .

وفى رواية لابن عمر : « حافتاه من ذهب ، والماء يجرى على اللؤلؤ ... »[1] .

وفى لفظ « حافتاه الذهب ، مجراه الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، ماؤه أشد بياضاً من الثلج »[2] .

وفى رواية البخارى « شاطئاه در مجوف ، آنيته كعدد نجوم السماء »[3] .

وفى الجنة أنهار أخرى منها :

البيدخ[4] ، ونهر بارق[5] ، والنيل والفرات وسيحان وجيحان[6] .

وفى الجنة أشجار ذات ظل ظليل[7] ، وهى ذوات أفنان ـــ أى أغصان وارفة ـــ ويعطى كثرة الشجر فى الجنة شديد الخضار مظهراً مائلاً للسواد من شدة خضرة الأشجار واشتباك الأشجار .

﴿ **مدهامتان** ﴾ [ ٦٤/ الرحمن ] أى مائلتان للسواد من شدة الخضرة .

وتتميز أشجار الجنة بوفرة ثمارها ، لكن لم تغن الثمار شيئا إن هى كانت عالية بعيدة عن الأيدى لذا فقد ذلل الله ثمارها تذليلاً .

﴿ **قطوفها دانية** ﴾ [ ٢٣ / الحاقة ] ، ﴿ **وذللت قطوفها تذليلا** ﴾ [ ١٤ / الإنسان ] .

﴿ **وجنى الجنتين دان** ﴾ [ ٥٤ / الرحمن ] . وفاكهة الجنة كثيرة لاتخفى ولا تمنع .

﴿ **وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة** ﴾ [ الواقعة /٣٢ ، ٣٣ ] .

---

( ١ ) عن أحمد فى المسند ( ٦٤٧٦ ـــ معارف ) .

( ٢ ) ورواه الترمذى من حديث ابن عمر وقال حسن صحيح .

( ٣ ) البخارى ( ٦ / ١٧٨ ـــ الشعب ) .

( ٤ ) فى رواية أحمد عن أنس ( ٣ / ١٣٥ ) .

( ٥ ) فى رواية أحمد ( ٢٣٩٠ ـــ معارف ) .

( ٦ ) فى رواية مسلم ( سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة ) .

( ٧ ) ﴿ وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ ( النساء / ٥٧ ) .

ومن أجود أشجارها وفواكهها المذكورة فى الذكر النخل ، والرمان ، والأعناب ، ومجملاً ففيها من كل فاكهة ، وكل فاكهة منها فى الجنة زوجان ، وبعض أشجار الجنة وارف وممتد الأغصان والأوراق مسافة كبيرة جداً :

ففى رواية البخارى : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لايقطعها »[1] .

وعند البخارى فى تفسير ﴿ **وظل ممدود** ﴾ [ ٣٠ / الواقعة ] .

قال النبى ﷺ : « فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها »[2] .

وفيها من الأشجار شجرة تسمى « طوبى »[3] ، وفيه أنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة ، تنبت على ساق واحد ، وينفرش أعلاها ، وفى عظم أصلها ( ساقها ) . لو ارتحلت جذعة من الابل ماحطت بأصلها حتى ينكسر عرقوبها هرماً ــ وفيها عنب ــ عظيم العنقود : كمسيرة شهر للغراب الأبقع .

وفيها شجرة تسمى سدرة المنتهى ، وهى شجرة نبق فى السماء السابعة حجم الثمرة فيها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان[4] فأما النهران الباطنان ففى الجنة ، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات .

وفى عظم ثمار الجنة قال النبى ﷺ فيما رواه البخارى : « إنى رأيت ــ أو أريت ــ الجنة فتناولت منها عنقوداً لو أخذته لأكلتم منه مابقيت الدنيا » .

وفيها الفاكهة التى يختارها أهل الجنة وفيها لحم طير شهى ، ويهنأ الآكلون فى الجنة بطعامهم لايعتريهم قلق ولا هم ولا حزن .

ويرزقون مع هذا بكرة وعشيا ، ويقوم بإطعامهم خدم من الملائكة ، كأنهم لؤلؤ منثور وهم يطوفون على المتقين ، يطوفون عليهم بصحاف من

( ١ ) البخارى ( ١ / ٦ ) ومسلم ( ١ / ٥١ ) .
( ٢ ) ورواه أحمد ( ٤ / ٤٥٢ ) .
( ٣ ) كما جاء فى حديث أحمد عن طريق عامر بن زيد البكاح عن عتبة السلمى .
( ٤ ) أخرجه البخارى ومسلم .

ذهب ، وأكواب بكل ماتشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين ، ويشرب الأبرار فيها من كأس كان مزاجها كافورا ، وفيها عين يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، وفيها أكواب كالقوارير صنعت من فضة فى صفاء الزجاج .

ويطاف على أهل الجنة ـــ جعلنى الله وإياكم من أهلها ـــ بآنية من فضة ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ، ومن عيون الجنة عين تسمى سلسبيلاً ، وأدنى أهل الجنة منزلة له سبع درجات وثلاثمائة خادم يغدون عليه ويروحون كل يوم بثلاثمائة صحفة من ذهب صحفة لون ليس فى الأخرى ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ... » الحديث[1] .

ـــ « ويعطى كل أحد فى الجنة قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع ـــ و ريح عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك ، فإذا البطن قد ضمر »[2] .

ويأكل أهل الجنة فيها، ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون، ولا يتمخطون ولا يبزقون ، طعامهم جشاء ورشحهم كرشح المسك[3] ، وأول طعام يأكله أهل الجنة : زيادة كبد حوت[4] ، والظاهر أنه حوت خلقه الله بصفة خاصة وخلق خاص وصنع كبده كما يريد سبحانه ..

وهو حتما ليس كحيتان الدنيا ...

وغذاء أهل الجنة حين يدخلون لحم الثور الذى تربى لهم آكلا من أطرافها .

وشرابهم عليه : من عين تسمى سلسبيلاً[5] ، ويكون لهم فى الجنة شراب الخمر لكنه رائع الحسن ، جميل المذاق .

﴿ **يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك** ﴾ [ ٢٥ ، ٢٦ / المطففين ] .

---

( ١ ) رواه أحمد لكن فيه انقطاع .

( ٢ ) رواه أحمد وصححه الحافظ الضياء على شرط مسلم قال : وهذا عندى على شرط مسلم لأن ثمامة ثقة وقد صرح بسماعه من زيد بن أرقم .

( ٣ ) أحمد ( ٣ / ٣٥٤ ) ومسلم فى الصحيح نحوه .

( ٤ ) البخارى ومسلم .

( ٥ ) رواية مسلم .

والخمر فى الجنة تجرى فى أنهار : ﴿ **فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى** ﴾ [ ١٥ / محمد ] .

ويقوم الخدم من الملائكة بالطواف على أهل الجنة بكؤوس الخمر ــ وهى مستخرجة من معين : ﴿ **يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول ولا هم عنها ينزفون** ﴾ [ ٤٥ ــ ٤٧ / الصافات ] .

فهى خمر طازجة ، بيضاء ، لذيذة الطعم والمذاق لمن يريد أن يشربها ليس فيها مايوجع البطون مغصاً ولا تذهب بها عقولهم : ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لايصدعون عنها ولا ينزفون** ﴾ [ ١٧ ــ ١٩ / الواقعة ] .

ولأهل الجنة فيها من اللباس نعيماً كبيراً : فثيابهم فيها من سندس خضر ، واستبرق وحليهم فيها أساور من فضة وذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير ، وتبلغ حلية المؤمن منه حيث يبلغ الوضوء(١) ويسور الرجال فيها والنساء بالذهب والفضة ، ويكللون بالدر وعليهم أكاليل در وياقوت وعليهم تاج كتاج الملوك وهم فيها شباب جرد مكحلون(٢) .

ويتكىء فيها أهل الجنة على فرش بطائنها من استبرق ، وفيها أسرة ــ جمع سريرَ ــ مرفوعة ، وفيها نمارق أى مخاد ووسائد مصفوفة ، وفيها ثياب خضر وعبقرى حسان ــ والعبقرى : جياد البساط . وأهل الجنة لايموتون ، ولا يهرمون وفى النعيم هم خالدون ..

روى أحمد فى المسند عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « فينادى مع ذلك : إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ...

ويقول لهم الرب تبارك وتعالى : إنما أعطيكم أفضل من ذلك : أحل

---

( ١ ) بخارى ومسلم .

( ٢ ) ابن كثير فى النهاية عن ابن وهب بسنده .

عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً[1] .

وينظرون إلى ربهم :

« إنكم سترون ربكم عيانا »[2] .

« وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنات عدن » .

« وفى لفظ : « وأعلاهم من ينظر إلى الله فى اليوم مرتين » .

وفى لفظ : « إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لاتمارون فى رؤيته .. » الحديث .

« إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : ياأهل الجنة : إن لكم عند الله وعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون : وما هو ؟! ألم تثقل موازيننا ، وتبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟! قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ماأعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم »[3] .

وهناك من أوصاف نعيم الجنة ماسوف نفرد له كتابا مستقلا إن شاء الله بعد ذلك .

* * *

---

( ١ ) أحمد والبخارى ومسلم .

( ٢ ) البخارى .

( ٣ ) رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة .

# نساء خالدات فى ركب الإيمان

لم تكن المرأة على مر الأزمان كائناً جامداً ولا هى مجردة من المواقف ـــ بل لقد دون لها التاريخ مواقف خالدة .

غير أن نساء العرب فيما قبل الإسلام قد سطرن بمواقفهن صحائف فى ديوان التاريخ مازالت تذكر لهن غاية فى الروعة وفريدة فى التقديم .

وجاء الإسلام ليصقل تلك المعادن جودة ويبرز منها الخفى الغائر على سطح الواقع الصعب فى تلك البيئة العربية المعقدة، المملوءة بالعادات المتأصلة فى التقاليد الضاربة فى أرجاء الواقع الصعب المرير، حتى خلع على مجتمع العرب ثوباً رائعاً من عادات غاية فى الأصالة عظيمة فى أصولها جميلة فى ألوانها ...

فبرزت المرأة فى زاوية من هذا الثوب بمواقفها الجميلة وتضحياتها الرائعة ومواقف الفداء الحر والعطاء السخى .. حتى صارت نساء المسلمين مثلاً وقدوة ... وسطر التاريخ لهن كتابا مكتوبة حروفه بكلمات من نور على صحائف الخلود ...

و لم يزل الزمان بعدهن يجود بنساء كان لهن من الفضل مثل ماللأوليات منهن جتى جاء زماننا الذى نحن به فكأن أرحام النساء عقمت أن يلدن مثلهن ... وغدا الأمر صعباً أن تجد مثلاً من الأوليات فى البذل والعطاء والجهاد والفداء والوعى والريادة وغير ذلك .

وإذ أكتب اليوم تلك الصحائف لأرجو أن تكون هذه الكلمات بذرة تربى فى قلوب المؤمنات فى هذا الزمان فسائل العطاء الجزيل .. والفداء الجليل .. والتضحيات فى سبيل الله .. والثورة على ريم الحياة البالية .. والإعراض عن ماديات تلك المدنية الزائفة ..

وكما أرجو أن تربى فى نفوسهن بذور الخشوع لله والخوف منه والرغبة

إليه وأن تؤثر فى سلوكياتهن مؤثرات النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة بحيث يصير الأمر إلى جيل قريب الشبه بجيل الأوائل فى كل أحوالهن، حينئذ ستكون المرأة بذرة العطاء الوافر لدين الله فتنتج رجالاً أمثال خالد بن الوليد ، وابن الخطاب ، والوليد بن الوليد، وزيد بن حارثة، وأسامة بن زيد وغيرهم من رواد الأمم وزعامات الدنيا ..

لقد ضربت لنا خديجة بنت خويلد أروع الأمثلة فى البذل والعطاء والمؤازرة والفداء، حين وقفت عضدا لزوجها محمد ﷺ حتى ماتت ولم يعلم امرأة أوفى لزوجها منها حتى وصل ذلك بالنبى ﷺ أن يقول فى أمرها :

« لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها » ..

ففى شدة رهبة النبى ﷺ حين فاجأه الوحى بأكبر حدث لم ير مثله قط فى حياته وروعه ماوجد يجد خديجة زوجه الحنون الرءوم الودود تحنو عليه بقلبها ونفسها وتغرقه فى عاطفتها ووجدانها .. وتمسح عنه آثار الروع ، وتبث عنده وشائج الثقة .. فتمهد له جسدها فى أقرب وضع يحقق له بأسرع وقت الهدوء من زوعه ، والسكون من قلقه ..

فمهدت له فخذها فجلس النبى ﷺ إليه مصغيا إليها — وإذ يأنس النبى ﷺ إليها تناديه : « ياأبا القاسم : أين كنت ؟؟! » .

لقد أقلقها مغيبه فلم تهدأ نفسها ولم يسكن روع قلبها، فأرسلت رسلها فى طلبه حتى بلغوا مكة ورجعوا وهو مايزال واقفا مأخوذا بروع مايرى من أمر جبريل، وقد آثَرتْ أن تناجيه مودة فقالت : « فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى » ..

ثم حدثها النبى ﷺ بالذى رأى قال : « ثم حدثتها بالذى رأيت » ..

فتكون أول مصدق له فى أعظم دعوى جاء بها محمد ﷺ — النبوة —

فهاهى تسوق إليه البشرى ، وتثبته وتتمنى له كل رفعة وعلو .

قالت : أبشر ياابن عم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

لقد سرت نشوى الفرح فى جسد خديجة ، حين وقع لزوجها هذا الأمر

الجلل فهى قد ظنت به خير ماتظن امرأة بزوجها وترجت أن تكون من أمره أعظم أمر يقع لرجل فى الدنيا جميعها شرفا وعزة فلم تدخر جهداً تفعله ولا عملا تقدمه :

قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر ، وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع فقال ورقة :

قدوس ... قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتينى ياخديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت ..

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ..

كان يمكن لخديجة أن تحمل على محمد كما حملت امرأة نوح ولوط على زوجيهما ، وكان يمكن لها أن تسخر به حين جاء يرتجف وحين جاء يخبرها بالخبر أو حين أخبرها ورقة ابن نوفل ..

ولم تكن خديجة بالمرأة التى ينقصها من الدنيا جاهاً .. ولا سلطاناً ..

أتراها خافت على حياتها ومالها وأملاكها .. إنها تقدر خطورة الأمر الذى يقبل عليه زوجها إنه سيقف أمام مجتمع رهيب يحمل أقسى أنواع العادات تقديساً وتشبثاً واعتزازا ويقوم على حراسة هذه العادات والمعتقدات فى ذلك المجتمع رجال لهم رءوس أجمد من الحجارة ..

ولكن ماذا تنفع ثروة خديجة بجانب أصالتها المتمكنة من نفسها ..

إنها تزوجت محمداً لتعطيه أغلى ماتملك لاأقول مالها فحسب بل حياتها ..

ضربت معه أعظم أمثلة الفداء والعطاء قالت خديجة لزوجها تخاطبه برقة الودود .. وحنان المرأة الرءوم :

أى .. ابن عم : أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟!

قال : نعم قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به ..

فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله ﷺ لخديجة : ياخديجة هذا جبريل قد جاءنى قالت : قم ياابن عم فاجلس على فخذى اليسرى قال : فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها ، قالت : هل تراه قال نعم قالت : فتحول فاجلس على فخذى اليمنى قالت : فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى فقالت هل تراه فقال نعم قالت : فتحول فاجلس فى حجرى قالت : فتحول رسول الله ﷺ فجلس فى حجرها قالت : هل تراه قال نعم قالت : فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال : لا قالت : ياابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان .

وفى لفظ : أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله ﷺ إن هذا لملك وما هذا بشيطان .

قال السهيلى فى الروض الأنف[1] :

لقد آمنت خديجة فهمت وصدقت بما جاءه من الله وآزرته على أمره وكانت أول من آمن برسول الله وأول من صدق بما جاء به .. فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ لايسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله .. أ هـ .

وقد جاء فى خبر عروة بن الزبير : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لاصخب فيه ولا نصب »[2] .

وهكذا تنبهت عائشة لرد النبى ﷺ عندما قالت له : ماتذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت فى الدهر قد أبدلك الله خيراً منها — تعنى نفسها — فغضب وقال :

والله ماأبدلنى الله خيراً منها ، آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس ورزقت الولد منها وحرمته من غيرها ..

---

( ١ ) ص ( ٢٧٧ ) .

( ٢ ) هذا الحديث رواه مسلم متصلاً ولفظه عن عائشة : ماغرت على أحد ماغرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى رسول الله ﷺ بثلاث سنين ولقد أمر أن ينشرها ببيت من بيوت خديجة .

روى مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ قال : « خير نسائها — يعنى السماء — مريم بنت عمران وخير نسائها — يعنى الأرض — خديجة[1] .

* * *

(1) نكتفى هنا بهذه المقدمة من هذا الباب على رجاء من الله أن يوفقنى أن أخرج كتابا مستقلاً إن شاء سبحانه بعنوان « نساء خالدات فى ركب الإيمان » يجمع فيه خير نساء خلدت أعمالهن فى سجل التاريخ ليكون منهن قدوة لنساء اليوم .

# الفصل الثانى

## أولاً : مصدر التلقى :

أى المصدر الذى تؤخذ منه عبادة الله تبارك وتعالى أو الحجج التى تحتج بها والتى تهتدى .

إن الهدى هو حجة الله على الناس فقال تعالى :

﴿ **قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ الأنعام ١٤٩ .

وقال أيضا : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ ( سورة النساء ١٦٥ ) . ويقول رسول الله ﷺ : « والقرآن حجة لك أو عليك » اللهم اجعله حجة لنا لا علينا .

فالحجج هى البراهين والأدلة التى تحدث اليقين حين الكلام فى الدين وتثبت الشيء بعين فلابد من الالتزام بالبرهان والدليل .

**سؤال** : من أين يأتى الهدى ؟

هناك ثلاثة احتمالات :

١ ــ إما من نفسه « أى نفس الإنسان » .
٢ ــ إما من دونه من المخلوقات .
٣ ــ أو من خالقه سبحانه وتعالى .

فهل هناك مصدر للعلم غير هذه الاحتمالات الثلاثة عقلاً ويقينا فإذا قلنا انه من عند نفسه فهذا مستحيل والأدلة على ذلك كثيرة قوله تعالى : ﴿ **أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً** ﴾ النحل / ٧٨ ، ﴿ **علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ العلق / ٥ .

وإذا قلنا إنها من دونه من المخلوقات فهذا أولى بالاستحالة من سابقه لأنها أصلاً لاتعقل شيئاً .

أما الاحتمال الثالث الذى يقول إنه من عند الله فهذا هو الصحيح لقوله تعالى : ﴿ **ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون** ﴾ البقرة / ١٥١ . وقال : ﴿ **ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالا تعلمون** ﴾ يوسف / ٩٦ .

بل نزهت الملائكة الله سبحانه وتعالى أن يكون عندهم علم من مصدر غيره فقالوا : ﴿ **سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا** ﴾ البقرة / ٣٢ . ولقوله تعالى : ﴿ **ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون** ﴾ البقرة ١٥١ . وقال : ﴿ **ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالا تعلمون** ﴾ يوسف ٩٦ . ﴿ **ويعلم مافى السموات وما فى الأرض والله على كل شىء قدير** ﴾ آل عمران / ٢٩ .

وقال تعالى : ﴿ **فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ آل عمران / ٦٦ .

ويقول سبحانه : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر** ﴾ الأنعام / ٥٩ .

فالعقل والشرع يوجبان الرجوع إلى الله تعالى بأى علم ولابد أن يكون مصدره تبارك وتعالى ، إذا ـــ فالعلم بلفظ العلم لايتصور إلا أن يكون من عند الله أما العلم الذى يدعونه فهو ظن كما سنثبت إن شاء الله .

لقوله تعالى : ﴿ **إنما العلم عند الله** ﴾ وإنما للحصر ـــ ﴿ **والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ ( سورة البقرة ٢٣٢ ) . هذه هى حقيقة الأمر ، وذات الأمر ، وتعلمُ الإنسان يأتى بعد ذلك بإذن الله وبالأسلوب الذى يحدده الله فقال تعالى : ﴿ **ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء** ﴾ ( سورة البقرة ٢٥٥ ) .

فلا يتصور أن يكون هناك علم أصلاً ولا هدى إلا من عند الله ولا يتصور وجود شىء لايعلمه الله حتى وإن كانت ذرة علم فيقول عز وجل : ﴿ **قل إن هدى الله هو الهدى** ﴾ ( سورة البقرة ١٢٠ ) . ( الألف واللام لشمول الهدى كله ) .

﴿ **قل أتنبئون الله بما لايعلم فى السموات ولا فى الأرض** ﴾ يونس / ١٨ ، ﴿ **أم تنبئونه بما لايعلم فى الأرض أم بظاهر من القول** ﴾

الرعد / ٣٣ .

فالذى لايعلّمه الله لايتعلم ، والذى لايهديه الله لايهتدى حق الهداية هى من عند الله لا تلجأ إلى علماء الفن والشيوخ الضالة وعندنا العلم من الله الحكيم العزيز لقوله تعالى : ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم** ﴾ البقرة / ٣٨ ، والذى يتبع هدى الله لاخوف عليه يوم لاظل إلا ظله ﴿ **قل إن هدى الله هو الهدى ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين** ﴾ الأنعام / ٧١ . ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق** ﴾ التوبة / ٣٣ . ﴿ **ذلك هدى الله يهدى به من يشاء** ﴾ الزمر / ٢٣ . ﴿ **قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلىّ ربى إنه سميع قريب** ﴾ سبأ / ٥٠ . ﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾ الكهف / ١٧ .

﴿ **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين** ﴾ القصص / ٥٠ .

فيبين الله تعالى أنه ليس هناك أضل ممن يهتدى بغير هدى الله ، بل تحداهم الله أن يكون عندهم أى علم أو ذرة علم فقال تعالى : ﴿ **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم** ﴾ ( سورة الروم ٢٩ ) . ﴿ **هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون** ﴾ الأنعام / ١٤٨ .

بل بينه سبحانه وتعالى أنهم مايتبعون إلا الظن فقال تعالى : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** ﴾ الأنعام / ١١٦ ، ﴿ **وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾ الجاثية / ٢٤ ، ﴿ **إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون** ﴾ الأنعام / ١٤٨ ، ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس** ﴾ النجم / ٢٣ ، ﴿ **وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن** ﴾ النجم / ٢٨ ، ﴿ **مايتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لايغنى من الحق شيئاً** ﴾ يونس / ٣٦ ، **وتحداهم** أن يأتوا **بأثارة من علم إن كانوا صادقين** فقال تعالى : ﴿ **أئتونى بكتاب من قبل هذا أو أثاره من علم إن كنتم صادقين** ﴾ ( سورة الأحقاف ٤ ) .

وبينه سبحانه وتعالى أنهم لن يستيقنوا بقضية أبداً ، فهم دائما ظانون

متشككون متحيرون ، فقال تعالى : ﴿ **وإنهم لفى شك منه مريب** ﴾ ( سورة هود ١١٠) ، ﴿ **وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب** ﴾ ( سورة إبراهيم ٩ ) ، ﴿ **بل هم فى شك يلعبون** ﴾ ( سورة الدخان ٩ ) ، ﴿ **وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب** ﴾ ( سورة الشورى ١٤) .

﴿ **وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى ماالساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين** ﴾ ( سورة الجاثية ٣٢ ) .

إن تتبعون إلا الظن وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن هم إلا يظنون فطريقة الشاكين فى دين الله دائما يطرحوا القضايا بالظنية ليدحضوا بها الحق مثل كلمة لها معنيان فى اللغة أو معنى قطعى يحتمل التأويل،مما هى الوسائل أو الأدعية التى يتصور أن يكون فيها العلم علماً،ن العلم من عند الله سبحانه وتعالى .

وكلنا لسنا على اتصال مباشر بالله سبحانه . وقال تعالى : ﴿ **وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب** ﴾ ( سورة الشورى ٥١ ) .

المصادر التى يتصور أن يكون فيها الهدى الخلق ، الأمر،وكما قلنا لايوجد علم خارج نطاق الخلق والأمر ﴿ **ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين** ﴾ ( سورة الأعراف ٥٤ ) .

فالأمر كله لله والخلق كله لله والهدى لايكون إلا من عند الله ﴿ **قال فمن ربكما ياموسى قال،ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** ﴾ ( سورة طه ٤٩ ) .

سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ، فلا يتصور وجود أى شىء نلتمس منه العلم غير الخلق والأمر **فالخلق** هو خلق السموات والأرض وما فيها ثم الإنسان وما فيه هل يوجد غير هذه الأشياء مخلوقات ؟ لا قطعاً .

والأمر هو التشريع والهدى الذى أمرنا الله به وما أنزل لنا من كتاب ومنه هذه هى الأشياء التى لايتصور وجود أى علم أو أثارة من علم خارج نطاقها .

**إذاً فمصادر الهدى هى :**

السموات ــ الأرض ــ الإنسان ــ الفطرة ــ الكتب المنزلة والحكمة ( القرآن والسنة ) . وكل هذه المصادر حق وخلقت بالحق وإثبات ذلك مايلى :

فعن السموات والأرض يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾ ( سورة الحجر ٨٥ ) ، ﴿ **هو الله الواحد القهار خلق السموات والأرض بالحق** ﴾ ( سورة الزمر ٤ ــ ٥ ) ، ﴿ **خلق الله السموات والأرض بالحق إن فى ذلك لآية للمؤمنين** ﴾ ( سورة العنكبوت ٤٤ ) .

﴿ **خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم** ﴾ التغابن / ٣ ، ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، ماخلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون** ﴾ الدخان / ٣٨ ــ ٣٩ .

بل ينبغى ألا يكون خلق السموات والأرض باطلاً فيقول تعالى : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً** ﴾ ص ٢٧ .

وعن الإنسان يقول تعالى ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ ( سورة التين ٤ ) ، ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ ( سورة الروم ٣٠ ) ، ﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ ( سورة الذاريات٢١ ) ، وقبلها يشير إلى الآيات فى الأرض فيقول تعالى : ﴿ **وفى الأرض آيات للموقنين** ﴾ ، ( سورة الذاريات ٢٠ ) ، ويقول تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق** ﴾ ﴿ **السموات والأرض وما بينها وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ ويقول رسول الله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة .

فلقد **فطر** الإنسان وصوره فى أحسن تقويم ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه الأسماء كلها وعلمه البيان وهداه النجدين وجعل له عينين ولسانا وشفتين وبياناً ليتدبر فيما خلقه الله ثم أرسل له الرسل معهم الهدى والشفاء وخلقه وسخر كل شيء فى هذا الكون من أجل الإنسان فيقول تعالى :

﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ ، ﴿ يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ﴾ ، ﴿ ونفس وما سواها ﴾ ، ﴿ وهديناه النجدين ﴾ ، ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ ، ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيــرة ﴾ ( سورة القيامة ١٤ ) .

﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ ، ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ﴾ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم .

وعن القرآن يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نـزل ﴾ الإسراء / ١٠٥ . ﴿ لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ فصلت / ٤٢ . ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق ﴾ محمد ٢ ﴿ الله نـزل أحسن الحديث ﴾ ( سورة الزمر ٢٣ ) . ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ( سورة الإسراء ٨٢ ) . ﴿ الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾ ( سورة الشورى ١٧ )﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ ( سورة النساء ١٠٥ ) . ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه ﴾ ( سورة الأنعام ١٥٥ . ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة ﴾ ( سورة الأعراف ٥٢ ) . ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فضلت من لدن حكيم خبير ﴾ ( سورة هود ١ ) .

ويقول رسول الله ﷺ :

« تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى » .

وقال ﷺ :

« نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه أصحاب السنن .

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » أبو داود .

ونقول أخيراً كما قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى ﴾ ( سورة النجم ٣ ، ٤ ) .

ومنزلة السنة النبوية عند المسلمين أنها البيان الواضح لمجمل القرآن تخصِّص عامة تقيد مطلقة ، وتبِّين وتفصلِّ مجملة فقال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم** ﴾ ( سورة النحل ٤٤ ) . ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ ( سورة النحل ٦٤ ) .

هذه هى المصادر التى أقام الله بها حجته البالغة على الناس جميعاً يوم القيامة والتى لايستطيعون دفعها بعد أن علموا بها جميعاً .

- **وأخيرا يجب أن نؤمن بأنه :**

لا يمكن أن يقوم الحق ببعض الحق ، لأن الحق سمته الترابط والاتصال فلا يمكن أن يهتدى الإنسان إلا بهذه المصادر السابقة وعدم الفصل بينهما فالهدى فيهم جميعاً شيء واحد مجمل فيكفى من فرق بينهم وقال : آخذ ببعض واكفر ببعض .

**العلاقة بين الرب والهدى :**

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ **قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران . له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين** ﴾ الأنعام / ٧١ .

أرضى الله تبارك وتعالى ليخلق ثم رضى لغيره أن يأمر ويهدى ويشرع إنه هو الذى يقول فى محكم آياته : ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ ، ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى** ﴾ ، ﴿ **ربنا الذى أعطى كل شيء خلقة ثم هدى** ﴾ ، ﴿ **تلك آيات الكتاب وقرآن مبين** ﴾ الحجر / ١ .

﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين** ﴾ الزمر / ٢ ، ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ النحل / ٨٩ .

﴿ **كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون** ﴾ فصلت / ٣ ، ﴿ **وإنه لكتاب عزيز** ﴾ فصلت / ٤١ . ﴿ **والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربياً** ﴾ الزخرف / ٢ ، ﴿ **إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون** ﴾ الواقعة ٧٧ ، ٧٨ ، ﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** ﴾ الإسراء / ١٠٥ ، ﴿ **إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق** ﴾ الزمر / ٤١ .

**والقرآن الكريم :**

هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته وأحكامه المنقول للقطع واليقين المكتوب فى المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس المحفوظ من التغيير والتبديل والتحريف فى كلماته وهو هداية الخالق للخلق وشريعة السماء لأهل الأرض جميعاً إلى النبى ﷺ وحياً ظاهراً فى اليقظة لا فى المنام ولا عن طريق الاتهام ثم بلغه النبى ﷺ إلى الأمة كما أُنزل عليه .

أما عن السنة النبوية فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ( سورة الحشر ٧ ، ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ الأحزاب ٢١ ، ﴿ **يأيها الذين** آمنوا **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ النساء ٥٩ ، ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين** ﴾ آل عمران ٣٢ .

ويبين الله عز وجل أن الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله هم الكافرون حقاً فقال :

﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض وتكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً** ﴾ النساء / ١٥٠ ، ١٥١ .

ويقول الله عز وجل أيضاً :

﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾ ( سورة الأحزاب ٣٦ ) ... إلخ .

فالله وحده هو الذى يخلق ، وهو وحده الذى يهدى ويأمر ويشرع للناس وأى عبد يقول : إننى أنا الذى أهدى أو أشرع فإن مثله كمثل فرعون إذ قال ﴿ **ماعلمت لكم من إله غيرى** ﴾ ، ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ النازعات ٢٤ ، فلم يكن رباً ولم يكن إلها يخلق ويأمر ( عموم الأمر ) إلا أنه قال ﴿ **ماأريكم إلا ماأرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾ غافر ٢٩ ، أى أنه سيجعل شرعه أمراً ونهيا مثل شريعة الله المنزلة فيقول الله عز وجل :

﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلَّى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله** ﴾ الأنعام / ٩٣ .

ولذلك نجد دائما أن الشرك بالله سبحانه وتعالى يكون فى أمر الهداية والتحليل والتحريم حيث يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ التوبة / ٣١ .

وقال أيضاً : ﴿ **وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا أباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلى البلاغ المبين** ﴾ النحل / ٣٥ .

وقال : ﴿ **قل هلمَّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لايؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون** ﴾ الأنعام / ١٥٠ .

وقال : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ الشورى / ٢١ .

● صلة الهداية بالتسليم :

المسلم هو الذى يستمع القول فيتبع أحسنه ، وأول تسليم للمسلم هوان يسلم بأن الهدى هدى الله . فلا يسأل بعد الله أحدا لأنه سبحانه وتعالى عنده الهدى كله قال تعالى : ﴿ **قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين** ﴾ الأنعام / ٧١ .

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام :

﴿ **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** ﴾ البقرة ١٣١ .

وقال تعالى : ﴿ **وأمرت أن أسلم لرب العالمين** ﴾ سورة غافر ٦٦ .

وقال : ﴿ **فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾ آل عمران ٢٠ .

وقوله تعالى : ﴿ **قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم . ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ ( سورة الأنعام ١٦١ ــ ١٦٣ ) .

وقوله تعالى : ﴿ **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ آل عمران/ ١٠١،١٠٢ . وقوله تعالى : ﴿ **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ آل عمران / ٦٤ .

وقوله : ﴿ **ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون** ﴾ ( سورة الزمر ٢٩ ) .

بعد ذلك كان الأمر البدهى أن نأخذ ماجاء من عند الله جملة ونترك ماعداه جملة ومن حيث المبدأ ، فلا يصح أن نأخذ مايوافق هوانا ونترك مالا يوافق هوانا وبخاصة وأن الله تبارك وتعالى الهادى المشرع بيّن لنا أن ماعنده مفصل ومبين وهدى وبشرى للمؤمنين وأنه محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو حبل الله المتين ، من تمسك به فقد هدى إلى صراط مستقيم متصف بالوضوح والبيان والتفصيل واليسر ، شريعة غراء ليلها كنهارها .

لايزيغ عنها إلا هالك . فقال تعالى :

﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ ( سورة النحل ٦٤ ) ، ﴿ **طــس تلك آيات القرآن**

وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ ( سورة النمل ١ ، ٢ ) .

﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ الأنعام ٥٩ .

﴿ يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً ﴾ النساء / ١٧٤ ــ ١٧٥ ، ﴿ آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ الحجر / ١ .

﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ يس / ٦٩ ، ﴿ حـم والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون ﴾ الزخرف / ١ ــ ٣ ، ﴿ آلر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ يوسف ١، ٢ ، ﴿ وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾ ( سورةالأنعام ١٢٦ ) .

﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلاً ﴾ الاسراء / ١٢ .

﴿ آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ هود ١ .

﴿ كتاب فصلت أياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون ﴾ فصلت / ٣ .

بعد ذلك لا يمكن أن يكون هناك مجال لتدخل أى إنسان فى أمر التشريع ( الهداية ) ولذلك نجد قول المؤمنين التسليم المطلق والسمع والطاعة والاستقامة كما أمر فقال تعالى : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ البقرة / ١٢٨ .

﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ البقرة / ١٣١ .

﴿ فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ آل عمران ٥٢ ، ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن

إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحداً ونحن له مسلمون ﴾ البقرة / ١٣٢ ـــ ١٣٣ .

﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ آل عمران / ٦٤ .

﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ﴾ آل عمران / ٦٤ . ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ المائدة / ١١١ . ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ الأنعام / ١٦٢ ـــ ١٦٣ .

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ العنكبوت / ٤٦ .

﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بأيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾ الأعراف / ١٢٦ ، ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ يونس ٧٢ . ﴿ ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ﴾ ( سورة فصلت ٣٣ ) ، ﴿ قال رب أوزعنى أن اشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين ﴾ ( سورة الأحقاف ١٥ ) .

كل هذه الآيات تدل وتبرهن على أن موقف الإنسان الذى أراد أن يكون عبداً لله خاضعاً لأمره وهداه بأن يكون مسلما مُسْتَسْلِماً لله ـــ وهذا هو موقف كل الأنبياء والصالحين وكل من أراد أن يكون عبداً لله ـــ وإن الله الذى أمرنا باتباعه هو الذى حرّم علينا اتباع غيره وأمرنا بعدم الاتباع لغيره ولو فى أقل الأمور .

فعن اتباع أمره قال تعالى :

**﴿ اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون ﴾** ( سورة الأعراف ٣ ) .

**﴿ اتبع ماأوحى إليك من ربك لا إله إلا هو واعرض عن المشركين ﴾** الأنعام / ١٠٦ .

**﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾** الجاثية / ١٨ ، **﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾** الشورى / ١٥ ، **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾** ( سورة النساء١٠٥ ) ، **﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾** ( سورة النساء ٥٩ ) .

والآيات على ذلك كثيرة لاتدع شبهة لأحد فى أن يتركها ويذهب لقول هذا أو ذاك من البشر .

فالله عز وجل أمر بالأخذ بما أنزله جملة وترك ماعداه جملة وحذرنا وحرم علينا اتباع غيره فقال تعالى :

**﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾** البقرة / ١٤٥ .

وقال : **﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لايؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾** الأنعام ١٥٠ .

وقال : **﴿ ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك ﴾** المائدة / ٤٩ .

وقال : **﴿ وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾** الأعراف ١٤٢ .

وقال : **﴿ قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون ﴾** يونس / ٨٩ .

وقال : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير** ﴾ البقرة / ١٢٠ .

وقال : ﴿ **وكذلك أنزلناه حكماً عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق** ﴾ الرعد / ٣٧ .

... ونقول أخيرا لمن يأخذ بغير شرع الله .

﴿ **فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما . أتبعه إن كنتم صادقين** ﴾ القصص / ٤٩ .

﴿ **ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم** ﴾ ( سورة الجاثية ٧ ، ٨ ) .

فطالما أن الله أمرنا باتباع شرعه ونبذ ماعداه فلابد أن يكون فيه الغنى والأحكام والتكامل والبيان والتفصيل فجعلها الله آيات مبينات هاديات مبشرات منذرات وقد قام رسول الله ﷺ بتبيانها وتوضيحها وما فعل ذلك إلا بوحى من الله فالقرآن الكريم من عند الله والسنة شارحة له وكل من عند الله وليس لأحد الحق فى أن يشرع من عند نفسه ولو كان نبيا مرسلاً ﴿ **لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما** ﴾ النساء / ١٠٥ .

ولذلك نجد قول الله الحاكم فى هذا الموضوع .

﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ ( سورة المائدة ٣ ) .

والتفصيل ليس فى الحرام والحلال فقط أو فى الكتاب فقط بل فى السموات والأرض بل فى كل شىء ﴿ **وَكُلَّ شَىء فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً** ﴾ ( سورة الإسراء ١٢ ) . فلا اتباع لشيخ أو عالم أو غيره إلا بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله .

* * *

# الإجْتِهَـــادُ والتَّقْلِــيدُ

نتكلم الآن فى موضوع الاجتهاد والتقليد باختصار وإيجاز .

● **معنى الاجتهـاد :**

« هو بذل المجهود لمعرفة أحكام الله عز وجل » بقصد عبادة الله تبارك وتعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ ( سورة العنكبوت ) .

● **والمجتهــــد :**

من توفرت لديه عدة الاجتهاد وهى : إلمامه باللغة وأصول الفقه والحديث والإلمام بعلم الحديث تعلم .

● **ماضابط اللغة العربية للمجتهد ؟؟**

لابد لكى يعرف الإنسان حكم الله وشرعه من أن يعرف اللغة العربية وأهم شيء فيها معانى المفردات ، فمثلاً : لكى يفهم قول رسول الله ﷺ « صلوا كما رأيتمونى أصلى » لابد من أن يعرف معانى هذه الكلمات الأربع .

ولا يوجد انفصال مطلقاً بين المقصود الشرعى والمقصود اللغوى فحكم الله يعرف بجمع النصوص وبمعرفة المعانى اللغوية لتلك النصوص ولكن يخطىء من قصر فحكم الله فى المسألة على نص واحد يفهمونه من اللغة العربية .

ولكننا إذا جمعنا النصوص وفهمناها باللغة العربية مفردة لن يوجد تعارض أو انفصال مطلقاً .

والقرآن الكريم مصدر من مصادر اللغة العربية حيث أنه أنزل قبل وضع القواعد الموجودة الآن ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾ ( سورة إبراهيم ٤ ) .

ولكن معانى المفردات قد لاتكفى وحدها فى بعض الأحيان ولذلك يجب معرفة بعض القواعد كالرفع والكسر والنصب وبعض التراكيب الاصطلاحية المعروفة مثل تربت يداك ، ثكلتك أمك،مم كان عليه بلسان العرب وبعض المسائل بقدر أهميتها فى معرفة أحكام الله .

أما المقلد هو من يقلد المجتهد ويقبل حكمه فى المسائل الفقهية من غير السؤال عن الدليل عند بعض الناس،ولكن لابد من السؤال عن الدليل الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله كما بينا من قبل .

## ما هو الإســـلام

إذا كان الإسلام اسما وعلما على دين الله الذى نتشرف بالانتساب إليه والذى أوحاه الله إلى خاتم رسله مصححا لما انحرف من العقيدة وموجها إلى الصراط المستقيم بشريعة كاملة مفصلة فإن الطاعة والانقياد هما المظهر المعبر عن إسلام المنتسب إليه تعبيرا صحيحا .

فالخضوع لما احتواه القرآن الكريم والسنة المطهرة وتنفيذه عمليا أمراً ونهيا هو مايميز شخصية الفرد المسلم وبالتالى مجتمع الإسلام تمييزا يعطيه الاستقلال الذاتى ويؤكد شخصيته كل التأكيد ومن ناحية أخرى يعبر عن ثقة المجتمع المسلم بنفسه .

ويبعده عن التبعية الذليلة التى تبدو فى تقليد الغير والجرى وراءه أينما يمشى تبعية مهينة،،التبعية دائما مهانة ومذلة لأنها تدل أول ماتدل على أن التابع مسلوب الإرادة ومسلوب المقدرة على التفكير المستقل،وهذا شر مايصاب به فرد أو جماعة لأن التابع يظل حياته معتمدا على غيره،،ومن السهل جدا أن يقع فريسة غيره وضحية أخطائه كلها .

والمسلمون مطالبون بالتزام مأمر الله به ونهى عنه وهذا صريح فى قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ النساء / ٥٩ . ﴿ **وما آتاكم الرسول**

**فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾** ( سورة الحشر ٧ ) .

ولم يرسل الله الرسل إلا لتكون كلمتهم التى جاءوا بها من عند الله هى الكلمة، وحكمه هو الحكم والموفق من احترز لدينه وجاهد لآخرته ومهد لنفسه ليوم توزن فيه الأعمال بميزان العدل المطلق، وتنشر فيه الأعمال فى كتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

قال تعالى : **﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾** ( سورة الزلزلة ٦ — ٨ ) .

وإننا ماعبدنا من خلقنا حق عبادته ولا شكرنا من رزقنا حق شكره وإننا مستحقون لعذابه وعقابه لولا عظيم رحمته وسابق حلمه وواسع مغفرته ، **﴿ ولله مافى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾** ( سورة النجم ٣١ ، ٣٢ ) .

يقول الحق تبارك وتعالى : **﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾** ( سورة النساء ٦٤ ، ٦٥ ) .

وهاتان الآيتان تتضمنان حقائق صريحة واضحة .

**● الحقيقة الأولى :**

إن الله ماأرسل الرسل إلى البشر إلا ليطيع البشر ماجاء به أولئك الرسل فينفذون الأوامر ويعلمونها ولا يعصون ولا يخالفون، وقد جاء الإسلام بشريعة سمحة فيها أوامر كلها لصالحنا وفيها نواهٍ فى الابتعاد عنها خيرنا، فالتنفيذ إذن واجب من جهتنا .

● **الحقيقة الثانية :**

أن باب رحمة الله مفتوح دائما فهو سبحانه يعفو عن الخطأ ويتجاوز عن الذنوب ويشمل بفضله من يقبل عليه بالتوبة والاستغفار فإذا كنا قد فرطنا فى حق الله فما علينا إلا أن نرجع إلى الصواب ونتوب إلى الله بقلب خالص وهو سبحانه وتعالى وحده الذى يملك الصفح والعفو وقد قال : ﴿ **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون** ﴾ ( سورة الزمر ٥٣ ــ ٥٥ ) . إن التوبة تمحو الذنوب فمن تاب يتوب الله عليه وهو من ذنبه بعد التوبة كيوم ولدته أمه مادامت التوبة قد استكملت شروطها وأهليتها للقبول الكامل وقال تعالى :

﴿ **والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا** ﴾ ( سورة الفرقان ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ) .

لقد سمع رسول الله ﷺ بسبب الغامدية تلك التى حملت من الزنا ثم جاءت تائبة نادمة إلى رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ لقد تابت توبة لو وزعت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم،هذا بعد أن أقيم عليها حد الزنا .

إن التوبة النصوح الكاملة الصادقة تلك التى نبعت من مسلم خائف من الله قد انخلع تماما من ذنبه وسعى جادا فى محو أثره،هذه هى التوبة العظيمة فتنقله التوبة من معصية الله إلى مغفرته ورضوانه،ولقد اقتضت حكمة الله أن يقبض المؤمنين فى حالة توبتهم وإحسانهم لا فى حال معصيتهم .

وتعال معى نقص عليك كيف كان الصحابة يستشعرون بالذنب وكيف يتاب منه .

قص أبو لبابة قال :

كانت غزوة بني قريظة لما حاصر رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة لنستشيره فى أمرنا، وأبو لبابه هو رفاعة بن المنذر الأنصارى الأوسى رضى الله عنه، وكان صاحبا لبنى قريظة وكان ماله وعياله فيهم فأرسله إليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه قام إليه الرجال فأجهش النساء والأطفال بالبكاء فرق لهم أبو لبابة وأحاط به بنو قريظة يسألونه ماذا ترى ياأبا لبابة أن محمدا قد أبى إلا أن ننزل على حكمه فقال لهم أبا لبابة انزلوا وأشار إلى حلقه يعنى إن نزلتم على حكمة فسيذبحكم وأدرك أبو لبابه أنه بهذه الإشارة قد أذاع سر رسول الله ﷺ وأنه بها قد حرضهم على ألا ينزلوا على حكم النبى ﷺ فانطلق على وجهه لايلقى النبى ﷺ ،حتى أتى المسجد فارتبط إلى عمود فيه بسلسلة وأقسم ألا يذوق طعاما حتى يموت أو يتوب الله عليه، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره قال ﷺ : إنه لو جاء لاستغفرت له،، مكث أبو لبابة ست ليال على ذلك الحال وكانت امرأته تأتيه فى كل وقت صلاة فتحله حتى يصلى ثم يعود فتربطه حتى خر مغشيا عليه حيث أنزل الله توبته عليه حيث قال سبحانه : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم** ﴾ ( سورة التوبة ١٠٢ ــ ١٠٤ ) .

قيل إنها نزلت فى أبى لبابه فلما بلغ ذلك أبا لبابه أبى أن يحله أحد حتى يحله رسول الله ﷺ حتى جاء فحله ثم قال لن تطأ قدما أبى لبابه بنى قريظة حتى انخلع من مالى، فقال النبى ﷺ إنما يجزيك الثلث أن تتصدق به .

أرأيت كيف كانوا يستشعرون بالذنب وكيف يتاب منه وكيف خرج من وحشة المعصية إلى أنس الطاعة .

عليك ياأخت بالتوبة قبل فوات الأوان قال تعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ، فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن**

**خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ، ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ، فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون ، إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾** ( سورة المؤمنون ٩٩ ــ ١١١ .

ألا تعلمين أن التوبة والاستغفار قد رمز لها الإسلام على أنها من أعظم الأعمال فى الإسلام أو هما مدخل الإسلام وذلك فى قوله تعالى :

**﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتووا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾** ( سورة التوبة ١١ ) .

**﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾** ( سورة محمد ١٩ ) .

وفى قوله تعالى : **﴿ فإن تابوا و أقاموا الصلاة وآتووا الزكاة فاخوانكم فى الدين ﴾** ( سورة التوبة ١١ ) .

وفى قوله تعالى : **﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم ﴾** ( سورة الكهف ٥٥ ) .

**﴿ ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾** ( سورة هود ٢ ، ٣ ) .

ولذلك فرض الإسلام على أتباعه التوبة من الذنوب وباتباع فرائض الإسلام وعدم الوقوع فى نواقض الشهادتين والتسليم لله جمله،وقد قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانعى الزكاة . وكما فعل رسول الله ﷺ مع شاربى الخمر ، روى أحمد فى مسنده عن ريلم الحميرى رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله إنا بأرض نعالج بها عملا شديدا وإنا لنتخذ شرابا من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا قال أمسكر هو وهل يسكر ؟ قلت نعم قال فاجتنبوه قلت : إن الناس غير تاركيه قال : فإن لم يتركوه فاقتلوهم و لم يقل فاجلدوهم ثمانين جلدة مع أن حد الشارب للخمر الجلد .

فإن الذى لم يترك الخمر غير الذى شرب الخمر وتركها وتاب ولذلك حدد النبى ﷺ حدا عمليا للتفرقة بين هذا وذاك فقال ﷺ من شرب الخمر فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه ثم إن شرب الرابعة فاقتلوه فأصبح القتل حد من شرب الرابعة .

● **الحقيقة الثالثة :**

إن النص القرآنى المجيد يؤكد بالقسم أن أساس الإيمان هو تقبل حكم الله وتطبيق شريعته وإن الناس لايعدون مؤمنين حقا إلا إذا رجعوا فيما يحصل بينهم ويكون إلى شريعة الله التى جاء بها رسوله ويحتكمون إليها ويرضون أحكامها فى إذعان وتسليم .

وقد سبق أن بينا من صريح النصوص أن الإسلام لا يحرم الإنسان رجلا كان أو امرأة من طيبات الحياة وأنه لايحرم مايحرم إلا محافظة عليه من أضرار المحرمات،وحتى لاينحرف به ضغط الشهوات إلى حيوانية لا تفكر إلا بالغريزة ولا ترى ولا تسمع إلا بها،ولا يأمر الإسلام بما يأمر به إلا لتحقيق مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .

ولقد حرص الإسلام إقرارا لمبدأ العبودية والتسليم أن يكلفنا بتكاليف قد لانعرف حكمها فأمرنا بالصلاة خمس أوقات فى اليوم والليلة وقد لانعرف لماذا لم يكونوا أربعة وأمرنا بلبس الحجاب حتى القدمين .. ولماذا القدمين ولماذا نقبل حجرا لايضر ولا ينفع فى الحج ؟ فمادام ذلك قد ثبت إنه من عند الله وقام الدليل أنه من عند الله فلا يملك العبد إلا أن يقول سمعنا وأطعنا ولا يقول سمعنا وعصينا .

ولشخصية المسلم خطوات تميزها كل التمييز فتبقى الإنسانية بمعناها الأصيل واضحة فى مظهره وسلوكه معبرة عما يحتوى عليه كيانه الداخلى من مضمونها الصادق،فعليك ياأخت السمع والطاعة لله ولرسوله واتباع ماأمرك به من حدود، ففى ذلك العزة والسعادة فى الآخرة .

يقول الله تعالى : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون** ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ **تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله**

**يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾** ( سورة النساء ١٣ ) ، ويقول عزوجل : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** ﴾ ( سورة النساء ١٢٤ ) . ويقول سبحانه عن آكلى الربا : ﴿ **الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتووا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون** ﴾ ( سورة البقرة : ٢٧٥ — ٢٧٩ ) .

وكذلك سمى رسول الله ﷺ معاصى بعينها بالشرك .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ إن الرقى والتمائم والتولة من الشرك من حلف بغير الله فقد أشرك . كل يمين يحلف بها دون الله شرك . اليسير من الرياء شرك . من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله . بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة . وعن محمود عن لبيد قال خرج النبى ﷺ فقال : « يأيها الناس إياكم وشرك السرائر : قال يارسول الله وما شرك السرائر قال يقوم الرجل فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر » . وقال رسول الله ﷺ : « إن أخوف ماأخاف عليكم الإشراك بالله لا أقول تعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن تكون أعمالا لغير الله وشهوات خفية » .

وعن النبى ﷺ فى صحيح مسلم :

قال ﷺ : « بنى الإسلام على خمس على أن يعبد الله ويكفر بما دونه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » .

عبادة الله حق العبادة والطاعة له والكفر بما دونه لا طاعة إلا لله فالطاعة لغير الله شرك بالله العظيم مهما كان هذا المطاع .

فالإسلام ياأختى هو الالتزام بالطاعات المنصوص عليها فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واجتناب المعاصى التى نهى الله عنها مع استيفاء الشروط الأخرى أيضا عند العلم بها ولا يجوز ترك الأوامر التى أمر الله الناس بها فمن مات على الطاعة مات على الإسلام ومن مات على الشرك مات على غير الإسلام .

**فيا أخت الإسلام :**

إن الله سبحانه وتعالى لا يفرض فرضا ولا يوجب علينا اتباعه إلا إذا كان ضرورة وشرطا فى عبادته، فمثلا لايفرض الوضوء فى الصلاة إلا أن يكون شرطا فى صحتها وتفسد الصلاة بدونه وعندما يفرض علينا التستر وعدم مصافحة الأجانب وإقامة الصلاة وصلة الرحم وغيرها من الفرائض نعلم أن الله مافرضها إلا لأنها شرط فى إحداث العبادة التى كلفنا الله بها لأن الله ماخلقنا إلا لعبادته .

قال تعالى : **﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾** ( سورة الذاريات ٥٦ ، ٥٧ ) .

فالإسلام ياأخت هو الالتزام بالطاعات المنصوص عليها فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واجتناب المعاصى التى نهى الله عنها . عند العلم بها مع استيفاء الشروط الأخرى أيضا .

ولا يجوز ترك الأوامر التى أمر الله الناس بها فمن مات على الطاعة مات على الإسلام ومن مات على الشرك مات على غير الإسلام .

**فيا أخت الإسلام :**

إن الله سبحانه وتعالى لايفرض فرضا ولا يوجب علينا اتباعه إلا إذا كان ضرورة وشرطا فى عبادته . فمثلا لا يفرض الوضوء فى الصلاة إلا أن يكون شرطا فى صحتها وتفسد الصلاة بدونه،وعندما يفرض علينا التستر وعدم مصافحة الأجانب وإقامة الصلاة وصلة الرحم وعدم تخبيب المرأة على زوجها والاهتمام بشؤون المسلمين والنصح لهم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدم تفضيل الدنيا على الآخرة وجعلها الهدف الوحيد وتعلم العلم الدينى وحضور

مجالس العلم وغيرها من الفرائض تعلم أن الله مافرضها إلا لأنها شرط فى إحداث العبادة التى كلفنا الله بها لأن الله ، ماخلقنا إلا لعبادته .

قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون** ﴾ ( سورة الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ ) ..

وكل الناس ليسوا على شيء حتى يقيموا ماأنزل إليهم من ربهم فلابد من بلاغ الناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعبادة الناس لله عز وجل .

قال تعالى : ﴿ **ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لايهدى القوم الكافرين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من. ربكم** ﴾ .

وماذا تكون عبادة الله إلا طاعته والخضوع له والاستسلام لأمره والاهتداء بهديه فإن كانت هذه الطاعة لغير الله صنماً أو شيطاناً أو هوى كانت العبادة لغير الله كما فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله .

قال عدى بن حاتم الذى كان نصرانيا واسلم قال لرسول الله ﷺ حين سمع هذه الآية أنهم لم يعبدوهم .

فقال بلى أنهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم فإن الطاعة لله وحده والأعمال لله وحده .

وقال تعالى : ﴿ **قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ ( سورة الأنعام ١٦١ ، ١٦٢ ) .

وسنعرض لك الآن الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لنثبت لك أن الإسلام ليس كلمة تقال ، وهذه الكلمة لها نواقض وهى نواقض الشهادتين أو نواقض الإسلام أو نواقض لا إله إلا الله وأن الإسلام هو التسليم لله أى إفراد الله بالعبادة والطاعة لرسوله فى الفرائض التى فرضها الله فى كتاب الله وسنة رسوله والفرض هو كل نص فى كتابه العزيز أو حديث صحيح متصل

السند بالله تبارك وتعالى . لم تأت قرينة تصرفه إلى الندب أو الاباحة .

فقد صح عن النبى ﷺ فيما قال عن أصحابه . أن رجلا جاء النبى ﷺ فدنونا منه فوجدناه يسأل عن شرائع الإسلام قال النبى ﷺ خمس صلوات فى اليوم والليلة . قال هل على غيرهن ؟ قال لا . إلا أن تطوع . وصوم رمضان . قال هل على غيرهن قال : لا . إلا أن تطوع . فسأله عن شرائع الإسلام فأدبر الرجل وهو يقول لا أزيد على ذلك ولا أنقص . قال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق . وفى هذا الحديث دلالة على أن الفرائض طريق الفلاح .

والثابت أيضا عن رسول الله ﷺ أنه كان يبايع على الفرائض ويشترط شروطا وذلك حين بايع النبى ﷺ النساء على ألا يتبرجن ولا ينحن كما جاء فى حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنه ــ رواه أحمد بسند حسن .

جاءت أمية بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام . ( أى تدخل فى الإسلام ) . فقال : « أبايعك على ألا تشركى بالله شيئاً ، ولا تسرقى ولا تزنى ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجلك ، ولا تنوحى ، ولا تتبرجى تبرج الجاهلية الأولى ( أى لبس زى غير الزى الشرعى أى الجلباب ) » .

أما الآية فهى آية البيعة فى سورة الممتحنة والتى بايع مثلها الرجال والنساء كما صح فى حديث عباده بن الصامت .

قال تعالى : ﴿ **إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم** ﴾ ( سورة الممتحنة ١٢ ) . **فقد إشترط الله سبحانه وتعالى لقبول النبى ﷺ بيعة الرجال والنساء شروطا فرضها وأجملها فى قوله ولا يعصينك فى معروف أى عدم عصيان الرسول .**

**وقد علمنا أن رسول الله ﷺ قد قبل من ضمام بن ثعلبة الشهادتين وفرضتين ولكن ليس معنى ذلك لاينفذ باقى الإسلام ولكن يقبله رسول الله ﷺ مسلماً فى جماعة ثم يتعلم وينفذ الشرائع فى وجوده فى مجتمع النبى ﷺ**

لأن قبول النبى ﷺ البيعة لضمام كان من قبيل الحكم له بالإسلام يتعلم وينفذ كما قال تعالى فى سورة الجمعة ﴿ **هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ .

وكذلك فرض الإسلام القتال على أداء الفرائض .

عند استيفاء الشروط الموجبة للقتل . قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى .

وإستناداً لهذا الحديث قاتل أبو بكر الصديق مانعى الزكاة ، وهناك أيضا نصوص عامة تشترط العمل الصالح لدخول الجنة .

قال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ ( سورة العصر ١ — ٣ ) . ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾ ( سورة الجن ٢٣ ) .

وقال تعالى لأصحاب المعاصى المتكبرين على شريعته : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ( سورة البقرة : ٨٠ ، ٨١ ) .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يارسول الله قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » .

ولم يكتف الإسلام بالنصوص المحكمة الجامعة وإنما ربط الفرائض فريضة فريضة بالإسلام كشرط فيه وكذلك الابتعاد عن المعاصى التى تبعدنا عن دخول الجنة ورضوان الله وإليك الأمثلة :

قال رسول الله ﷺ : بين المؤمن والكافر أو المشرك ترك الصلاة .

وقال تعالى : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ ( سورة التوبة ٥ ) .

وقال تعالى : ﴿ **ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين** ﴾ .

ثم قال رسول الله ﷺ : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » .

وقال تعالى فى فريضة الحج : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ ( سورة آل عمران ٩٧ ) .

وفى الزكاة : ﴿ **وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة** ﴾ ( سورة فصلت ٦ ، ٧ ) .

وفى الصوم قال تعالى : ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ . فجعل رجاء التقوى متعلقا بالصيام وفى فريضة التوكل على الله يقول الله تعالى : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وفى فريضة إكرام الجار وإكرام الضيف يقول النبى ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » .

ويقول « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

أما فى المعاصى فأيضا فصلها معصية معصية وإليك بعض الأمثلة :

قال رسول الله ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

وقال تعالى : ﴿ **الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة** ﴾ النور ٣ .

وفى معصية التبرج قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

ثم قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام لا يدخل الجنة قتات لا يدخل الجنة قاطع » .

وقال رسول الله ﷺ : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه أبوه فالجنة عليه حرام » .

وقال أيضا : « من قتل معاهدا فى غير كُنهْهِ لـم يـر رائحة الجنة » .

قال رسول الله ﷺ : « اثنان فى الناس هما بهم كفر الطعن فى النسب والنياح على الميت » .

ونهى رسول الله ﷺ عن إيذاء الجار قال : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه ( إيذاءه ) .

ثم قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

وقال رسول الله ﷺ : « أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق » .

ثم قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » .

وقال « مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » .

وقال رسول الله ﷺ فى رعاية الحقوق : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة وإن كان قصبا من أراك . (أى سواك ) » .

وفى جريمة القتل قال رسول الله ﷺ : « من جاء بحديدة فقتل نفسه فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .

وقال « مايزال المؤمن فى قسمه من دينه مالم يصب دما حراما » .

وقال « من أشار لأخيه بحديدة ظلت الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه » .

وقال رسول الله ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا » .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يشر أحدكم بسلاحه إلى أخيه فينزع الشيطان بينهما فيقع فى حفرة من النار » .

وقال رسول الله ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** ﴾ النساء ٩٣ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا** ﴾ سورة الفرقان ٦٨ ، ٦٩ .

* * *

( ١ )

# الإيمـــان والعمـــل

الإيمان والعمل متلازمان ، ولا يكفى الإنسان أن يكون منتسبا إلى الإسلام ، إذ انتسابه إلى الإسلام دون أن يعمل بما فى كتاب الله وسنة رسوله يؤدى إلى رذيلتين يحمل إثمهما من ينتسب إلى الإسلام ولا يعمل بما يوجبه الإسلام .

أولى الرذيلتين : أنه يسىء إلى نفسه فى الدنيا والآخرة ، أما إساءته إلى نفسه فى الدنيا . فإنه يضع نفسه فى موضع الهازل ، لأن مقتضى الإنتساب إلى الإسلام العمل بما فيه ، وتطبيقه فى سلوكه ، فإذا لم يكن له تطبيق سلوكى ، كان ذلك دليلاً على أنه ليس جاداً فى احترامه لدينه . وأما إساءته إلى نفسه فى الآخرة فذلك مايلقاه من جزاء غير محبوب على مخالفته .

والرذيلة الأخرى : هى إعطاء فرصة المغالطة لأعداء الإسلام فيأخذون فى تشويهه والدعاية ضده من خلال سلوك المسلمين . وتنطلى هذه الحيلة على قصار النظر ، الذين لايدركون أن الإسلام فى عقيدته وشريعته شىء ، وسلوك المسلمين شىء آخر .

فلابد إذن من الإيمان بالقلب والتصديق بالعمل .

ويقول عز وجل : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا ، والله بما تعملون خبير ، يوم يجمعكم ليوم الجمع ، ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾ التغابن / ٨ ، ٩ .

واستمعى إلى قوله ﷺ : « ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ماوقر فى القلب ، وصدقه العمل ، وإن قوماً غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة

لهم وقالوا : نحسن الظن بالله .. كذبوا ، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » ..

إن إحدى الأخوات قد تؤدى بعض العبادات من صلاة وصيام وتترك بعض الواجبات ، وتظن أو تعتقد أن هذا هو الإسلام ، ولكن الخطأ الذى لايصح أن تقع فيه مسلمة ، ذلك أن ترك الواجبات عصيان ، والعصيان يبطل الأعمال ، والله ينهانا أن نبطل أعمالنا فيقول عز وجل : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ محمد / ٣٣ .

وليس معنى هذا ياأختى أن أقلل من شأن أدائك لواجب الصلاة والصوم ، بل ألفت نظرك إلى مايجب عليك من تكامل واجبات الإسلام حيث يرضى الله ورسوله، لأن تكامل الواجبات والفرائض هو مايرضى الله سبحانه وتعالى .

تأملى معى قول سيدنا رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيبا » ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً** ﴾ ( سورة المؤمنون ٥١ ) .

وقال أيضا : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم** ﴾ .

ثم ذكر : « الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمديديه إلى السماء : يارب ، يارب . مطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له ؟! » .

وإذا كان تكامل الواجبات ضرورياً فلا ينبغى أن نترك الهوى والشهوة النفسية يسيطران على العقل الذى جعله الله ميزاناً وموجهاً ، وقد نبهنا المولى جل جلاله إلى عدم اتباع الهوى والشهوة فقال مبينا جزاء الإنسان فى حال اتباع الهوى ، وفى حال أتباع العقل والحكم ليختار الإنسان لنفسه :

﴿ **فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى** ﴾ النازعات / ٣٧ ، ٤١ .

ويقول عز وجل : ﴿ **أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم** ﴾ ( سورة محمد / ١٤ ) .

إن مثل من يؤدى بعض الواجبات ويهمل باقيها قريب من أولئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، وتوعدهم بشديد العقاب فى الآخرة ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون ، أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** ﴾ البقرة / ٨٥ ، ٨٦ .

وأخطر الخطر على مجتمعنا أولئك الذين ينتسبون إلى الإسلام ، ومع ذلك يحاربونه بالدعوة فى سلوكهم وأقوالهم إلى نبذ حدود الله ويسخرون من شرعه ، ويعتبرون الاستمساك بكلمة الله ــ كلمة الحق ــ رجعية ولا تساير تقدم الحياة وحضارة الإنسان ، وهؤلاء قد نبهنا الله إلى خطرهم ،وحذرنا من ضلالهم ، إذ هم أمثال لأولئك المنافقين الذين قال الله فيهم :

﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا** ﴾ النساء / ٦٠ ، ٦١ .

فالتحاكم إلى ماأنزل الله شرط فى صحة الإيمان ولابد ياأختى المسلمة أن نسمع آيات الله ونقوم على تنفيذها كاملة غير منقوصه دون استكبار أو تأجيل ، ويقول تعالى :

﴿ **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ، ويل لكل أفاك أثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ، وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ، من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ماكسبوا شيئاً ولا مااتخذوا من الله أولياء ولهم عذاب عظيم** ﴾ الجاثية / ٦ ــ ١٠ .

وتعال معى نستمع إلى حديث رسول الله ﷺ لنعرف كيف فصل مع شاربى الخمر ولم يأمر بجلدهم .

فتقول المرأة لن أتحجب الآن ولن أصلى لأننى صغيرة . فهذا يدل على نية معصية الله تبارك وتعالى ونية عدم التوبة .

وقد حدث مثل ذلك فى عهد النبى ﷺ : أخرج أحمد بن حنبل فى كتابه وأصحاب السنن عن رجل قال لرسول الله ﷺ : « إنا بأرض نعالج بها عملاً شديداً أو نتخذ شهاباً من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا . فقال الرسول ﷺ : أمسكر هو ؟ قال : نعم . قال : فاتركوه ، قال : فإنهم غير تاركين . قال : إن لم يتركوه فاقتلوهم ولم يقل اجلدوهم وهو الذى يقول : لايحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، التارك لدينه المفارق للجماعة ، ولا يقع هؤلاء إلا فى الثالثة » .

فإن هؤلاء لو كانوا انتهوا عن الشرب لم يأمر بقتلهم ولكنهم أصروا واستمروا فى العصيان .

فإن المذنب حال ذنبه ياأختى والعاصى أثناء عصيانه إيمانه فى خطر . يقول الرسول ﷺ : « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

وزاد مسلم : ولكن التوبة معروضة بعد . لذلك كانت التوبة تجديد للإيمان نفسه أو الدخول فى الإيمان .

قال تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ ( سورة التوبة ١١ ) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى** ﴾ ( سورة طه ٨٢ ) .

فإن الاستغفار والتوبة هما مدخل الإيمان وهما رسالة الرسل ، عليك بالرجوع إلى العمل إلى مايرضيه وإياك والتسويف فإن الموت يأتى فجأة والساعة تأتى بغتة .

قال تعالى : ﴿ **ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ ( سورة الحج ١ ، ٢ ) .

وقبل أن ننتهى من هذا الفصل « الإيمان والعمل » لابد أن تعلمى أن

الإيمان لابد أن يصحبه العمل الصالح كما قال الله تعالى : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾ ( سورة هود ٧ ) . لابد أن يكون العمل صوابا موافقا للكتاب والسنة فالإيمان الصحيح هو الذى تستقر جذوره فى القلوب كالجبال الراسيات .

كما قال ﷺ على لصحابته فقد روى الإمام البخارى ومسلم عن حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذور قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة : قال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ( النقطة السوداء ) ثم ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فتنط فتراها فتبرأ مُنتبراً ( أى عالياً ) .

وليس فيه شيء ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل ماأجلده ماأظرفه ماأعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى علىّ زمان وما أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلماً ليردنه على دينه ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردونه على ساعية وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا أو فلاناً .

رأيت كيف رأى حذيفة حديثا والآخر نحن نرى تأويله .

كان الإيمان فى جذور قلوب الرجال ثم تعلموا من القرآن ومن السنة الإيمان رسخ أولاً عكس مانحن عليه الآن كتب علم ومؤلفات والقرآن مطبوع على أفخر الورق وبكافة اللغات ودونت السنة العلم موجود فى الكتب ولا يطبق مافى الكتب إلا من رحم ربى ثم تحدث رسول الله ﷺ عن رفع الأمانة أى الإيمان من القلوب ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل أى مثل الجمر من النار إذا دحرجته على رجلك فنفط أى علا فتراه كالبقلة منتبراً عالياً أى الإيمان يصبح انتفاخ على فراغ منظر فقط وليس إيمان حقيقى كما كان عليه الصحابة فى جذر القلب وتبايع الناس ولا يجدون من يؤدى الأمانة يبحثون عن التاجر الأمين ويقال إن فى بنى فلان تاجر أمين شيء

نادر والأغلبية لايؤدون الأمانة حتى يقال للرجل ماأجلده فلان شجاع ماأظرفه فلان ظريف جداً يتكلم كلمات الكفر ويسخر من الحجاب ومن اللحية ويحارب الإسلام ويوصف بأنه ظريف أنيق وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان هكذا هو الحال كما ترون .

وقال حذيفة قد أتى عليه زمان لايبالى أى أحد يبايع لئن كان مسلما ليردنَّه علىَّ دينه أى دين الرجل يحتم الأمانة ولئن كان يهودياً أو نصرانياً ليردَّنه على ساعية أى يردنه أمير المؤمنين فيعطى كل ذى حق حقه فالمسلم واليهودى والنصرانى كل منهم يعرف حقه ولا يظلم غيره فهناك سلطة عليا تعطى الحقوق وقال حذيفة أما اليوم أى بعد زمان صحابة رسول الله ﷺ فيقول فما كنت لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً أى يخترا أحداً فينا . هكذا رأى حذيفة تأويل حديث ونحن رأينا الآخر كما سبق .

تجدى الفتن ياأختى فإنها تعرض على القلوب كالحصير كما قال حذيفة فيما رواه الإمام مسلم سمعت رسول الله ﷺ يقول تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأى قلب أُشر بها نكت فيه نكته سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تفره فتن مادامت السماوات والأرض . والآخر أسود مرباداً كالكوز مجتحيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ماأشرب هواه صدق رسول الله ﷺ لا ينكرون منكراً ولا يعرفون معروفاً إلا ماأشرب هواه .

أصبح المنكر معروفاً فالتبرج شيء عادى والحجاب خيمة وتطرف حقاً لايعرفون المعروف ولا ينكرون المنكر إلا مااتفق مع الهوى لا بمقياس الشرع وإنما حسب الهوى إذا أتجهوا إلى شيء فى الدين حسب الهوى لتزين جاهليتهم فقط .

حقاً أصبح الإسلام غريباً كما بدأ كما قال رسول الله ﷺ فى صحيح مسلم : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء » .

سنظل على الحق ظاهرين كما أخبر رسول الله ﷺ لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة .

# الشـــرك

تكلمنا عن الإسلام فى الفصل السابق وسنتكلم معك ياأختى فى هذا الفصل عن الشرك .

إن الشرك ياأختى محبط للأعمال وإن الله لايغفر أن يشرك به وإن الله يصرف المشركين يوم القيامة من الحشر ليأخذوا جزاء شركهم وأن من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وكلما دخلت أمة لعنت أختها فالمشركون جميعاً فى النار وإن اختلفت درجاتهم فيهاكما أن الموحدين فى الجنة وإن اختلفت درجاتهم .

والشرك أنواع ورسول الله ﷺ حذر منه وقال : « الشرك أخف من دبيب النمل » فالسجود للصنم شرك وطاعة أى أحد غير الله شرك فطاعة الشيطان أو طاعة بشر فى معصية والرياء أيضاً معصية وشرك لذلك فالمؤمنون خائفون وجلون مهما قدموا من صالحات مخافة أن يكون فيها رياء فيقول الله فيهم : ﴿ **والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾ ( سورة المؤمنون ٦٠ ) . فالرياء نوع من أنواع الشرك وهو مرض ابتلى به العباد فتبع من كونه إن إشباع النفوس المريضة وتعجل لاياأخذ الجزاء الدنيوى على أعمالهم من مدح وإعجاب من الناس .

تحويل كامل للمرء فى كون عبد الله يرجو رحمته وآخرته ويتوجه بأعماله إليه .

إن عبدا يتعجل بأعماله لأخذ الجزاء الدنيوى من الناس .

قال رسول الله ﷺ « إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت إنما قتلت لأن يقال هو جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ

القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارىء وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها : قال ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار فكانوا أول من ألقى فى النار » .

إحذرى العمل لأرضاء الزوج وحده أو الأب أو الأم أو أى أحد غير الله، ولكن إرضى زوجك بزيك وحجابك وأعمالك الصالحة التى ترضى ربك فإن طاعة الله مضمنة، ولكن طاعة ولى أمرك عقيدة مشروطة بطاعة الله . اللهم جنبنا الشرك، حذرى العمل لغير الله لتحصلى منه على الجزاء .

ولا يوجد شرك أشد ضراوة ولا أبلغ أثراً فى النفس ولا أبلغ فيها من شرك الرياء وذلك للارتباط الوثيق بكل حرمة من سكنات هذا الإنسان الذى يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد ويصلى ويحارب ويسالم ويقول ويسكت ويفعل مايفعل ابتغاء مرضاة الله، يفعل مايفعل ابتغاء مرضاة الناس ورئاء الناس وابتغاء الأجر من الناس والخوف من عقاب الناس فليست الحجارة هى أصل الكفر وإنما أصل الكفر النفس الكافرة وما فيها فهى التى صنعت آلهة الحجارة وآلهة الكواكب وآلهة الهوى وآلهة البشر وكل ماصغر وما كبر من الآلهة فالنفس وما فيها من رياء أو شرك أخطر من عبادة الأصنام، والذبح لها والتوسل لها هذه الأعمال التى كانت لاتنفع ولا تضر بدليل أنها لاتنفع نفسها .

ومن ثم فقد كان من الأسهل عند الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إقناع هؤلاء الجاهلين بفساد عبادتهم للأصنام، ونجد البشرية اليوم لايعبدون الأصنام ولكن يتبعون أهواءهم أو أزواجهم أو قادتهم أو كل من يضلهم عن طاعة الله ، قال تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم** ﴾ الجاثية .

وقال : ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم** ﴾ ( سورة القصص ٥٠ ) . ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾

( سورة الأنعام ١١٦ ) ، وقال تعالى : ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ الكهف / ٢٨ .

لا تطيعى هوى أو شيطاناً أو أى أحد غير ربك الذى خلقك وإليه ترجعى إلى جنته أو ناره .

واستمعى إلى قول رسول الله ﷺ : « إن أخوف ماأخاف عليكم الإشراك بالله » ، لا أقول تبعدون شمسا ولا قمراً ولا وثناً ولكن تكون أعمالا لغير الله وشهوات خفية .

المعنى فى هذا النص أن الشرك قد يكون خلاف عبادة الأصنام فيقول رسول الله ﷺ لاتعبدون شمساً ولا وثناً . وقال تعالى : ﴿ **إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون** ﴾ ( سورة الأعراف ٣٣ ) .

فالقول على الله بغير الحق شرك أيضا .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ( سورة الزمر ٦٥ ) .

ويقول : ﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً** ﴾ ( سورة النساء ١١٦ ) .

فالشرك خلاف التوحيد وعدم توكل على الله كما قال رسول الله ﷺ : « من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك » .

فمن صفات المؤمن التوكل على الله كما قال تعالى على الشيطان أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولون والذين هم يشركون .

وقد أوضح الله سبحانه لعباده أنه هو الرزاق ذو القوة المتين وقال لرسول : ﴿ **لا نسألك رزقا نحن نرزقك** ﴾ ( سورة طه ١٣٢ ) .

وقال لعباده : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر**

**الأمر ﴾** ( سورة يونس ٣١ ) .

وخاطب عباده بأبلغ عبارة وأقطع حجة . فقال : **﴿ أفرأيتم ماتمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ... أفرأيتم ماتحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ... أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ... أفرأيتم النار التى تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾** ثم نفى عليهم بعد ذلك **﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾** ، **﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾** ( سورة الواقعة ٨٣ ــ ٨٧ ) . ولقد قال لهم نبيهم مؤكداً لهم إن الأمر كله بيد الله وحده وألا يحدث فى الأرض ولا فى أنفسهم إلا ما شاء الله . وأنه لادخل لصنم ولا لبشر ولا لطائر فى ذلك قال ﷺ : « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » ؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن الشرك أيضا فى قوله : « من علق تميمة فقد أشرك » .

إن الرقى والتمائم والتولة من الشرك . وقد رأى ابن مسعود تميمة فى عنق زوجته فقطعها وقال إن آل ابن مسعود لأغنياء عن الشرك وكيف لايقول ذلك وقد سمع رسول الله ﷺ من علق تميمه فلا أتم الله له ومن علق ودع فلا أودع الله به .

وقوله ﷺ : « ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له » .

وقال تعالى : **﴿ آلمص ، كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون ﴾** ( سورة الأعراف ١ ــ ٣ ) .

فإن التطير من صنع الجاهلية . فالكافرون يقولون لرسلهم وللمؤمنين **﴿ إنا تطيرنا بكم ﴾** ( سورة يس ١٨ ) **﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾** ( سورة الأعراف ١٣١ ) .

وقال رسول الله ﷺ : « كل يمين يحلف بها دون الله مشرك » رواه الحاكم . « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » أحمد والترمذى . وقوله :

« إن الله ينهاكم أن تحلفوا » ابن ماجه والحاكم . « بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » البخارى ومسلم .

وذكر الصحابة عندما سألوه عن كفارة ذلك يعني من حلف بغير الله قال : « يقول لا إله إلا الله » فهى كفارة ذلك وقوله ﷺ : « ليس منا من حلف بالأمانة » ( رواه أحمد وابن ماجه والحاكم ) من مجموع هذه النصوص النهى عن الحلف بالآباء أو الحلف بغير الله عموما .

وفيه بيان أن العلة فى خطورة هذا الذنب فى تعظيم المخلوق تعظيما لايكون إلا لله وحده ولذلك ألحق النبى ﷺ بكلمة الله لبيان أن الله تعالى أن يكون له أن يحلف به فقال ﷺ : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » ( متفق عليه ) .

وذكر الصحابة عندما سألوه عن كفارة ذلك يعنى حلف بغير الله قال : « يقول لا إله إلا الله فهى كفارة ذلك » أو عن ولاء المشركين فقال رسول الله ﷺ : « من جامع المشرك وساكن معه فإنه مثله وقال: من أقام مع المشركين فقد برئت من الذمة » الطبرانى والبيهقى .

فلا شك أن ترك المؤمنين بغير سبب هو تكثير لعدد المشركين وتكثير لسوادهم ومجاراة لهم .

وقد أمر الإسلام بعدم الركون إلى المشركين ومخالفتهم قدر الطاقة فيما ظهر من المأكل والملبس والمشرب وفرق الشعر واللحية والشارب وطريقة الإشارة وسنوضح ذلك فى باب الحجاب .

فى شروط الحجاب بأن من شروط الزى الشرعى عدم التشبه بلبس الكافرات . ( اليهود والنصارى ومن يتبعهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ) .

وقد خالفهم رسول الله ﷺ فى كل شيء حتى إن اليهود قالوا : إن هذا الرجل لايريد أن يترك لناشيء إلا وخالفنا فيه فقد روى مسلم فى صحيحه وأبو داود فى صحيحهما عن أنس بن مالك .

إن اليهود إذا حاضت عندهم المرأة أخرجوها من البيت ولم يشاربوها ولم يجامعوها فى البيت فسئل النبى ﷺ عن ذلك فأنزل الله : ﴿ **يسألونك عن**

**المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض** ﴾ سورة البقرة ٢٢٢ .

فقال ﷺ : جامعوهم فى البيوت واصنعوا كل شىء غير النكاح فقالت اليهود مايريد هذا الرجل ألا يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه ( آداب الزفاف ) الألبانى .

وحتى أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا دائما يتوقعون أن النبى ﷺ سيخالف مافعل اليهود وعلى خط مستقيم ويقول ﷺ : « احفوا الشوارب ودفروا اللحى » ( البخارى ومسلم ) .

ويقول : « خالفوا اليهود فإنهم لايصلون فى نعالهم ولا خفافهم » أبو داود والحاكم والبيهقى .

ووصلت المخالفة إلى حد المخالفة فى الخير فلو فعلوا خيراً لخالفهم النبى ﷺ إلى خير غيره أحسن منهم ماأمكن ، فلما كان اليهود يصومون عاشوراء اليوم الذى نجى الله فيه موسى عليه السلام وبنى إسرائيل قال النبى ﷺ : « أنا أولى بموسى منهم . فصام وأمر المسلمين بصيامه . ثم قال لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع » فحين يضيف التاسع إلى العاشر فيكون بذلك مخالفاً لليهود ، ومع مخالفة النبى ﷺ للمشركين فإنه يضيف إلى ذلك مقاطعة طعامهم وهداياهم ويرفض معونتهم ماأمكن ذلك فيقول : « إننا لانستعين بمشرك » أحمد وأبو داود وابن ماجه . ويقول ﷺ : « إنى لا أقبل هدية مشرك » ( الطبرانى ) وتصل المقاطعة إلى مابعد الموت فيقول : « لايرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر » البخارى ومسلم .

وكان يأمر أصحابه ألا يقيموا فى مكة أكثر من ثلاث لدرجة أن النبى ﷺ صح عنه : « لكن البائس سعد بن خولة يرث له رسول الله ﷺ أنه مات بمكة » البخارى .

ويجعل الإسلام ترك الهجرة إلى دار الإسلام معصية، كذلك يفرض على كل مسلم ومسلمة الانتقال من مكان المعصية إلى مكان الطاعة .
فالهجرة هجرة المعاصى ليس الغرض الانتقال من مكان إلى مكان، هجرى أماكن الفسق والفجور وصالات التلفزيون والفيديو قال تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض**

**قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** ﴾ ( سورة النساء ٩٧ ) . فواجب المسلم ترك المشركين إلى المؤمنين وترك مكان المعصية إلى مكان الطاعة . أى مكان يعصى فيه الله إلى مكان يطاع فيه الله . فقد قال رسول الله ﷺ : « من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة » .

**وعن الصلاة : قال** ﷺ : « **بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة وأن تركها شرك** » ، **كما قال رسول الله** ﷺ **وقال تعالى** : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم . واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم** ﴾ التوبة ٥ .

فكانت الصلاة من الأشياء التى وقف الله عليها الاستمرار فى القتال أو الكف عنهم بعد أن قال فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم وأقعدوا لهم كل مرصد .

وقال تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ ( سورة التوبة ١١ ) . فكانت إقامة الصلاة من الأشياء التى وقف الله عليها إعتبار الآخرين إخوة للمؤمنين فى الدين .

وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم .. وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا** ﴾ ( سورة الأنفال ٢ — ٤ ) .

فجعل هذه الصفات التى منها الصلاة دلالة على الإيمان الحق . فتركها دلالة على الكفر والإيمان المزيف .

وقال تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً إلا من تاب وآمن وعمل صالحا** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ،**

**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم . إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ ( سورة التوبة ٥٤ ، ٥٥ ) .

﴿ **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا** ﴾ ( سورة النساء ١٤٢ ) .

فكان الكسل عن الصلاة أو فيها سبب نفاق ودليل نفاق وقال فى ذلك رسول الله ﷺ : فيما روى البخارى ومسلم : « إن أثقل صلاة المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون مافيها لأتونها » .

ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا يصلى بالناس ثم انطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لايشهدون الصلاة فأحرق عليهم دورهم ( متفق عليه ) .

فهؤلاء فقط لايشهدون صلاة الجماعة فى الأحيان واشتهر ذلك عنهم فكيف بمن لايطأ فى حياته مسجداً فكيف بمن قوتل على ذلك فقاتل فيقتلونه . فقال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ ( سورة البينة ٥ ) .

﴿ **قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد أباؤنا** ﴾ الآية ٨٧ .

والمقصود هنا بالصلاة الدين ، بمعنى ياشعيب أدينك الذى أبرز مافيه الصلاة تأمرك بذلك .

كما يقال لك ياأخت المسلمة هل صلاتك تنهاك عن التبرج كل شيء له حساب !!

وهذا هو الحال فى كل زمان ومكان إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وقال تعالى إن سؤال المؤمن يوم القيامة يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين فجعل ترك الصلاة والإصرار على تركها أول الأسباب المؤدية إلى الإجرام وكذلك كانت السبب فى دخولهم النار .

وقال تعالى : فى بيان هلاك البشر وضلالهم ... إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين ... فاستثنى من هؤلاء الهلكى المصلين .

وقال النبى ﷺ : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » مسلم .

وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » .. الحديث وقال ﷺ : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حيان .

وقال ﷺ : « من ترك الصلاة فقد كفر . جهاراً » الطبرانى فى الأوسط . وقال ﷺ : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » البخارى .

وقال تعالى فى إحباط الأعمال : ﴿ **وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً** ﴾ ( سورة الفرقان ٢٣ ) . وقال سبحانه : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً** ﴾ ( سورة النور ٣٩ ) .

ويقول عز من قائل : ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شىء** ﴾ ( سورة ابراهيم ١٨ ) . وحبطت أعمالهم لأنهم بنوها على غير أساس التوحيد بل على أساس الشرك فانهارت .

﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين** ﴾ ( سورة التوبة ١٠٩ ) .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾ ( سورة الزمر ٦٥ ، ٦٦ ) .

وعلى العموم فإن إحباط العمل والأعمال يؤدى إلى الهلاك بعينه وهو الخسران المبين بعينه ، إذ أن الأعمال هى التى توزن فإن حبطت فما الذى يوزن .

ولقد جعل الله الصلاة أول علامة من علامات الحكومات المسلمة ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة** ﴾ ولما سئل النبى ﷺ عن مناجزة الحاكم الذى يظلم وقف ذلك على إقامة الصلاة فى الأرض فقال ﷺ حينما قالوا له أفلا نناجزهم .

قال : لا ماأقاموا فيكم الصلاة .

وكذلك وقف الشهادة بالإيمان على إقامة الصلاة فقال ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » . فإذا علمنا ذلك كله وغيره من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة .. وإذا علمنا قول النبى ﷺ : الصلاة عماد الدين وإذا علمنا استدلال الصحابة على كفر المصر من الامصار بتركه شعائر الصلاة بل الآذان فأوجبو قتالهم من غير إنذار إذا لم يسمعوا الآذان فيه مدة ثلاث ليال .

وإذا علمنا أن أبا بكر الصديق أذن فى ذلك لقوادة فى حروب الردة فإذا أذن المسلمون فأذنوا ( يعنى أصحاب المصر ) . فاكفوا عنهم ، وأن لم يؤذنوا عاجلوهم .

وإذا علمنا أن الصلاة هى الفريضة التى فرضها الله على كل الأمم من غير استثناء .

فقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى** ﴾ ( سورة إبراهيم ٤٠ ) . وقال تعالى : ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة** ﴾ ( سورة إبراهيم ٣٧ ) . وقال تعالى عن إسماعيل : ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** ﴾ ( سورة مريم ٥٥ ) .

وقال تعالى لموسى : ﴿ **وأقم الصلاة لذكرى** ﴾ . وقال تعالى عن زكريا : ﴿ **فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب** ﴾ . وقال تعالى عن عيسى : ﴿ **وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا** ﴾( سورة مريم ٣١ ) . وقال تعالى لمريم : ﴿ **يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** ﴾ ( سورة آل عمران ٤٣ ) . وقال لقمان

لابنه فى نصيحه ﴿ **يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ ( سورة لقمان ٣ ) .

وقال لأمة محمد ﷺ : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ ( سورةالحج ٧٧ ) .

هذا وإذا علمنا أنها الفريضة التى فرضت فى مكة دون سائر الأركان من زكاة وصيام وحج .

وذكرت فى القرآن فى مواضع كثيرة عن غيرها .

فى مثل قوله تعالى : ﴿ **والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة** ﴾ ( سورة الأعراف ١٧٠ ) . وفى مثل قوله تعالى : ﴿ **وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيمواالصلاة واتقوه وهو الذى إليه تحشرون** ﴾ ( سورة الأنعام ٧١ ) . وإذا علمنا أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن غيابها والنقص فيها وفى إقامتها تمهيد للفحشاء والمنكر .

فهى أول مايحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإذا صلحت صلح سائر عمله ، وإن ضيعها كان لما وراءها أضيع فيقول الرسول ﷺ : « إثنان لاتجاوز صلاتهما رءوسهما عبد آبق من مواليه حتى يرجع وامرأة عصت زوجها حتى ترجع » .

وعلمنا أن الصحابة كانوا يرون الذى لايحسن الصلاة أنه خارج عن الفطرة ( الإسلام ) .

وذلك ثابت فيما رواه البخارى عن حذيفة بن اليمان أنه رأى رجلاً لايتم الركوع ولا السجود فقال له : « ماصليت ولو مت لمت على غير الفطرة التى فطر الناس عليها » .

وقد اتفق العلماء فيما نقل عنهم عن كفر تارك الصلاة عامدا ولو وقتا واحدا وذلك هو مذهب أحمد بن حنبل .

يبعد عن زوجته ويقتل ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مدافن المسلمين .

وإذا علمنا ذلك فليس أمامنا إلا أن نقول إن تارك الصلاة عامداً مشرك

وإن ترك الصلاة اشرك .

ونقول كما قال الرسول ﷺ فيما رواه مسلم فى صحيحه بلسان عربى مبين .

بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة .

علينا ياأختاه بالتوبة والرجوع إلى الله علينا بأداء فريضة الصلاة إذا قصرنا – علينا بإتمام ركوعها وسجودها علينا بآدائها فى وقتها – ولا تكونى من الذين يشغلهم اللهو والعمل عن الصلاة وعن طاعة الله . فقد قال تعالى : ﴿ **رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ النور / ٣٧ ، ٣٨ . وكما قال تعالى : ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** ﴾ ( سورة النساء ١٠٣ ) . ( أى فى وقتها ) .

وحتى التجارة وهى العمل الشريف حذر الله من أن تلهى العبد عن الصلاة وعن ذكر الله وختم الآية والله يرزق من يشاء فالرزاق هو الله مهما سعينا . فلا يكون السعى والتجارة على حساب طاعته وطاعة أوامره .

وحذر رسول الله ﷺ ممن لايتقن صلاته فى أحاديث كثيرة فالصلاة لابد أن تؤدى بشروطها تمام ركوعها وسجودها فقد قال ﷺ : « إن الرجل ليشيب فى الإسلام وما أتم ركوعاً ولا سجودًا » .

ولقد قال ﷺ لرجل صل فإنك لم تصل فهذا لايقيم الصلاة كما أوجب الله .

والله تعالى يقول : ﴿ **وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقتصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** ﴾ ( سورة النساء ١٠١ ) . ثم يقول : ﴿ **فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** ﴾ . أى لابد من إقامتها على وجهها .

وقال ﷺ : « لاينظر الله إلى عبد لايقم صلبه بين ركوعه وسجوده » أحمد وابن ماجه وابن خزيمة .

وقد جاء فى الخبر من النبى ﷺ أن الذى يصلى . صلاة وهى تقول ضيعك الله كما ضيعتنى .

فالإضاعة هنا عدم إقامة الصلاة كما تجب لا ترك الصلاة كاملة أو وقتاً كاملاً .

وعن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال : « أتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يامحمد خمس صلوات من وفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن فإن له عندى عهداً أدخله الجنة ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيئاً فليس له عندى عهد إن شئت رحمته .

خمس صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

وقال تعالى : ﴿ **فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى** ﴾ ( سورة القيامة ٣١ ، ٣٢ ) . ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعه أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون وأملى لهم إن كيدى متين** ﴾ ( سورة القلم ٤٢ — ٤٥ ) .

لا يستطيع الصلاة فى جهنم طبعاً .

تجنبى الشرك وطاعة غير الله وترك الصلاة وغيرها من أنواع الشرك وقد قال رسول الله ﷺ : « أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » البخارى .

وفى حديث آخر وهى لمن مات لايشرك بالله شيئاً واعلمى أنه لايبقى فى النار إلا كل مشرك بالله أصر على شركه وهم الذين أشار إليهم النبى ﷺ فى حديث الشفاعة الذى ذكره أنس :

يارب مابقى فى النار إلا من حسن القرآن .

لابد من العبادة الخالصة لله والكفر بما دونه عن بن عمر عن النبى ﷺ قال : « بنى الإسلام على خمس أن يعبد الله ويكفر بما دونه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » . صحيح مسلم ( ص ٣٤ ) .

# الإســـلام قـــولاً وعمـــلاً

إعلمى يأأختى أن باب التوبة مفتوح لكل المذنبين كما قال الله تعالى : ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً** ﴾ ( سورة مريم ٦ ) .

وأن التوبة الصادقة فى الإسلام تمحو ماقبلها فقد علمنا فيما سبق من الأحاديث أن تارك الصلاة كافر أو مشرك ولكن التوبة تمحو الذنوب كلها الصلاة وغيرها من المعاصى ومع ذلك لا تحكم بكفره أو شركه أى تارك الصلاة أو تارك أى فريضة .

فالمسلم لايكفر بالمعاصى إلا بعد الاستيفاء منها بإقامة الحجة البينة عليه على أن تكون الحجة قاطعة لكل شبهة، لابد أيضا أن يعلم أنها معصية، بعض العلماء اشترط الجحود والبعض الآخر اشترط الاستحلال أو الإصرار .

هذه الأمور لاتعنينا الآن حيث لاتوجد السلطة التى تستوفى من هذه الفرائض التى أمر الله بها وهى التى تحدد موقفها من الإسلام لأنها هى السلطة الوحيدة التى بها السلفية فى إقامة الحد عليه أو عقوبته أو قتله كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى قتل مانعى فريضة الزكاة أو كما أمر رسول الله ﷺ بقتل المصرين على شرب الخمر كما مر بنا وكما أمر الله تبارك وتعالى باعتزال الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة من الغزوات .

استمعى إلى قوله تبارك وتعالى فى سورة التوبة : ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم** ﴾ ( سورة التوبة ١١٨ ) ، ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ ( سورة التوبة ١١٩ ) .

واستمعى إلى قوله تعالى : ﴿ **فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيرا ، إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم**

**حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم ، فلقاتلوكم ، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾** ( سورة النساء ٨٩ ــ ٩٠ ) .

فقد أمر الله المسلمين أن يقطعوا معهم الولاء حتى يهاجروا فى سبيل الله، ونجد من هذه الأمثلة أن ولى الأمر المسلم هو الذى يحدد التعامل وهو الذى يقيم الحد فإذا كنت وليه أمر عليك باستيفاء حقوق الإسلام من أولادك بقدر الاستطاعة، أمرهم بالصلاة وأمرهم بالصيام وأمرهم بالزى الشرعى عند البلوغ ومعا قبتهم عند اللزوم تارة بالرفق وتارة بالحزم، لكن إقامة الحد لايفرض عليك تجاههم، وأنت غير مسئول بإقامة الحد لأنها وظيفة السلطة المسلمة ولكنك راعية و مسئوله كما قال رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

أمرهم بالصلاة مثلا، ولكن الحدود وظيفة السلطان أو الخليفة هو الذى يحدد موقفهم وموقف التعامل معهم سواء إقامة الحد أو العقوبات .

فهو الذى يحكم المسلمين ولكننا نستوفى هذه الحقوق فى حالة التعامل ويقدرها فى حالة الزواج المتقدم، فقد أمرنا رسول الله ﷺ أن تزوج الأخت المسلمة أخا ترضى دينه وخلقه كما قال الرسول ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إن لم تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . فلا يكن مسلماً حليق اللحية مثلا تقليداً للناس . حسب العرف والعاده المتبعة فى المجتمع وإننا لانعبد العرف أو العادة ولكن نعبد الله الذى أمرنا بعدم تغيير خلقه ، قال تعالى فى حق الشيطان لعنة الله عليه وقال ﴿ **لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ، ولأ ضلّنهم وَلأُمَنِّيَنَّهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً** ﴾ فهذا نص صريح من أن تغير خلق الله بدون أذن منه تعالى طاعة لأمر الشيطان وعصيان الرحمن جل جلاله، وكذلك حرمه رسول الله ﷺ عليه وسلم حينما قال .

لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فحلق اللحية تغير خلق الله للحسن أو اتباع للعادة

أو غير ذلك مخالفة لله ولرسوله ﷺ فقد أذن الله بحلق العانة أو الابط وغيرها من سنن الفطرة ولا يأمر بحلق اللحية بل قال نبينا محمد ﷺ : « اتركوا الشوارب واعفوا عن اللحى » رواه البخارى ومسلم وغيرهم .

والأمر للوجوب ولا توجد قرينة تصرفه للإباحة أو الندب وقال ﷺ : « جزوا الشوارب وارخوا اللحى خالفوا المجوس » .

وفى حلق اللحية تشبه بالنساء فقد لعن الرسول ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال فهى ميزة ميزهم الله بها على النساء فأصبح شبيهاً بالنساء وإعفاء اللحية من الفطرة كما قال ﷺ على مارواه مسلم وغيره والفطرة لاتقبل التغير شرعاً كما قال عز وجل : ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ( سورة الروم ٣٠ ) .

فاللحية من سنن الفطرة وجميع الأنبياء كانوا لايحلقون لحاهم ولم يرد خبر عن رسول الله ﷺ أنه حلق لحيته أبداً .

فاعتبروا ياأولى الأبصار .

تكلمنا عن اللحية وحكمها وهناك بدعة يقع فيها بعض الأخوة ألا وهى الدبلة الذهبية دبلة للخطوبة رمزاً للزواج .

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه ثم قال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده فقيل للرجل بعد ماذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك وانتفع به قال : لاوالله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ وقال ﷺ : « من لبس الذهب من أمتى فمات وهو يلبسه حرم الله عليه ذهب الجنة » . وخاتم الخطوبة أو دبلة الخطوبة تقليد للنصارى وعادة من عادات الجاهلية التى نشأ عليها المسلمون تقليداً للنصارى ويرجع ذلك إلى عادة قديمة عندما كان العروس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى ويقول باسم الأب ثم ينقله واضعاً له على رأس السبابة ويقول باسم الإبن ثم يضعه على أصبع الوسطى ويقول باسم الروح القدس وعنده يقول أمين يضعه أخيراً فى البنصر حيث يستقر هذا رأينا أنها عاداتهم من طقوسهم فلا داعى نتبعهم سنة سنة أو حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة كما

قال رسول الله ﷺ وهذه بدعة بالنسبة للرجل أو المرأة لايلبسها أحد منهما فالأخ المسلم لايحضر للأخت العروس دبلة ذهبية تشبها بالنصارى وقد علمنا أنه ما من أخ يلتزم بالإسلام فى جملة فرائضه ويستقيم على أمر الله ويوالى المسلمين ويترك المعاصى التى ذكرنا جزءاً منها أما الحكم بظاهر الإسلام إلى أى أحد من الناس فى هذا المجتمع لمن أظهر الانتماء إليه بقول أو شعيرة أو إشارة مالم يأت بنا قصة .

وإن أتى بناقص لابد من وجود هيئة تستوفى منه للاسلام وتعززه وتقيم عليه الحد كما قلنا ولكن لانتوقف فى حكمه بناقص لقوله تعالى فى سورة التغابن .

**﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ﴾** ( سورة التغابن ٢ ) .

وقال ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » أى الناس قسمان إما مسلمون أو كافرون ويحكم بظاهر الإسلام لمن يأتى مظهرا من مظاهر الإسلام أو شعيرة أو قول أو إشارة تدل على أنه يريد الدخول فى الإسلام كما قال ﷺ : « ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله » .

لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثنى الله عز وجل إلى أن يقاتل آخر أمتى الرجال لايبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار .

معنى هذا أن نحكم بالإسلام عند التلفظ أو الاقرار أو التصديق فقط ولكن هذا للحكم فقط .

والحكم على الناس بظاهر الإسلام فلا يستحل مالهم ودماءهم وأعراضهم كما بين الرسول ﷺ لأسامة فى الحديث « أقتلته بعد ماقالها » فاعتبر رسول الله ﷺ هذه القولة كفاية للحكم عليه بالإسلام .

عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة

من جهينة فصبّحنا القوم على مياههم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناهُ قال لا إله إلا الله . فكف عنه الأنصارى وطَعنْته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبى ﷺ فقال لى ياأسامة أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله . قلت يارسول إنما كان متعوذاً . فقال : أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله . فمازال يكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وفى رواية فقال رسول الله ﷺ : « أقال لا إله إلا الله وقتلته . قلت يارسول الله إنما قالها خوفا من السلاح . قال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟؟ . فمازال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ » . ( فى الصحيحين البخارى ومسلم ) .

واستنادا لهذا الحديث فإنه ﷺ عصم الدماء بالشهادتين وعن أبى المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال قلت لرسول الله ﷺ أرأيت أن لعنت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال أسلمت لله . أأقتله يارسول الله بعد أن قالها . فقال لاتقتله فقلت يارسول الله إنه قطع إحدى يدى ثم قال ذلك بعد ماقطعها فقال : لاتقتله » .

فإن قتله فإن بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزله قبل أن يقول كلمته التى قال . وإنه ﷺ قبل من ثمامة بن أثال الثقفى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وحكم له بالإسلام . وإنه ﷺ قبل ضمام بن ثعلبة على الشهادتين وفريضتين ثم يدخل جماعته ويتكلم .

وقال ﷺ : « ماقال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إليها فتحت له أبواب السماء حتى ينظر إلى العرش . مااجتنب الكبائر » رواه الترمذى .

فالإسلام الذى أمرنا الله ورسوله ﷺ به هو العبادة لله على أحسن ماتكون فقال تعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ ، ( سورة الذاريات ٥٦ ) . ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ( سورة الأنبياء ٢٥ ) .

ولا يقول فاعلمون وإنما قال فاعبدون . فيبين الله سبحانه وتعالى إنى أمر محمد ﷺ أنه يعلم أنه لا إله إلا الله بقصد العبادة ، ويعلم الناس أنه لا إله إلا الله بقصد العبادة وربط ذلك بتلك بفاء الشرطية أو فاء السببية فقال سبحانه

وتعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ( سورة الأنبياء ٢٥ ) .

فالعلم لايقف عند حد العلم ولكن لابد من العمل فإذا تجاوز العلم إلى العمل بمقتضى هذا العلم كانت العبادة أى الخضوع والانقياد والطاعة لله تبارك وتعالى . وقال تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ ( سورة النمل ١٤ ) . فهذا الإقرار حجة الله على العبادة .

فالمسلم لابد أن يبرهن على صدق دعواه وإقراره قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ﴾ ( سورة البينة ٧ ) .

﴿ **فأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ ( سورة المائدة ٦٩ ) .

وقال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ ( سورة العصر ١ — ٣ ) .

. فالمعاصى والآثام تنقص الإيمان والطاعات تزيد الإيمان، فالإيمان يستغرق القلب فينعكس على الفور أعمالاً للجوارح، ولقد حرص القرآن الكريم أشد الحرص على التنبيه والتوكيد على هذه الحقيقة كما سبق أن بينا فى الآيات السابقة، والإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة .

فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

والحياء شعبة من الإيمان .

ويقول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم .

ويقول ﷺ : « فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » رواه مسلم . ويقول : « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

فالإسلام الذى يدخل الجنة يبدأ من شهادة لا إله إلا الله إلى الالتزام والاستقامة على أمر الله واجتناب الكبائر واجتناب عذاب النار مطلق العذاب وكيف لانفعل ذلك وقد علمنا أن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منها دماغه كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فى صحيح مسلم وكذلك المسلمون عند الله غير المسلمين عندنا نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وحتى رسول الله ﷺ ، وعمر بن الخطاب منع بتبليغ حديث البخارى حتى لايتكل الناس وحتى لايفهم الناس أن الإسلام كلمة تقال : قال رسول الله ﷺ : « ياأبا هريرة وأعطانى نعليه قال إذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بيده ثديى فضررت لإستى فقال ارجع ياأبا هريرة فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء وركبنى عمر فإذا هو على أثرى فقال رسول الله ﷺ مالك ياأبا هريرة قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بيه ثديى خَذْبه خررت لامتى قال ارجع قال رسول الله ﷺ ياعمر ماحملك على مافعلت قال يارسول الله بأبى أنت وأمى أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقى يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة قال نعم قال فلا تفعل فإنى أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله ﷺ فخلهم » أما الحديث الآخر .

« حدثنا أنس بن مالك أن نبى الله ﷺ ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل قال يامعاذ: قال لبيك رسول الله وسعديك قال يامعاذ قال لبيك رسول الله وسعديك قال يامعاذ قال لبيك رسول الله وسعديك فقال مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار قال يارسول الله فلا أخبر بها فيستبشروا قال إذاً يتكلون فأخبر بها معاذ: عند موته تأثما » .

هكذا رأينا قالوها عند الموت تأثما من كتم العلم . فهى للتبشير والنذير والشهادة للناس . ( أى معقدته ) .

علينا أولاً وأخيراً بالاتحاد والاعتصام بحبل الله .

كلنا أخوة مسلمون متحابون ولا داعى للفرقة والاختلاف حول مسائل فرعية وقال ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : يرضى لكم

أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم ثلاث قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » . وقال تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ .

## الطاعـــة لله وحـــده

إن البلاغ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو أن تأمرى التاركين لهدى الله وكتابه أن يهتدوا بكتاب الله ويهتدوا بهديه ، ولقد أجمل الله تبارك وتعالى البلاغ حين أمر رسوله أن يبلغ فقال : ﴿ **ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لايهدى القوم الكافرين** ﴾ ( سورة المائدة ٦٧ ) ، ﴿ **قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ ( سورة المائدة ) .
وقد قال تعالى : ﴿ **ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ ( سورة يس ٦٠ ) . وقد قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون** ﴾ ( سورة الذاريات ٥٦ ، ٥٧ ) . وماذا تكون عبادة الله إلا طاعته والخضوع له والإستسلام لأمره والاهتداء بهديه فإن كانت هذه الطاعة لغير الله شيطاناً كان أو هوى أو أحدا من البشر كانت هذه العبادة أو الطاعة لغير الله يقيناً وكان الإشراك هؤلاء الغير مع الله فى العبادة واتخاذهم أرباباً من دون الله يأمرونهم بغير أمره ويهدونهم بغير هديه وشرعه . وأن الطاعة لله وحده تلقياً وإهتداء وإفراده وحده بالأعمال توجهاً وابتغاء لهما شقا العبودية بينها الله فى قوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين** ﴾ . ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ ( سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ ) . أى أول الطائعين الخاضعين لله .

ولقد ضل الناس حينما اهتدوا بغير هدى الله واشترعوا بغير شرعه فإن

الرب هو المستحق للعبادة وهو المستحق بأن يطاع فلا يصح لأى بشر أن يعصى الله ويطيع أى أحد مهما كان فالله يطاع فيما هدى ويعبد بما شرع فهو رب العالمين ربكم الحق الذى اتصف بكل صفات الكمال واختص بكل خصائص الحمد .

فحين سأل فرعون موسى قائلاً : فمن ربكما ياموسى . كان على موسى فى هذا الموقف المحاجة والبلاغ أن يأتى بأبلغ وأجمع وصف فوجدنا لم يذكر إلا أمرين اثنين وقال : ﴿ **ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** ﴾ ( سورة طه ٥٠ ) . صفتا الخلق والهداية الخلف والتدبير .

وإبراهيم عليه السلام قال : ﴿ **أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين** ﴾ ( سورة الشعراء ٧٥ ــ ٧٨ ) . فهو الذى خلق وهو الذى يهدى وقال الرب تبارك وتعالى عن نفسه : ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ ( سورة الأعراف ٥٤ ) . وقال تعالى : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى** ﴾ ( سورة الأعلى ١ ــ ٣ ) .

فهو الذى له الخلق كله وله الأمر كله وهو رب العالمين .

وقال تعالى : ﴿ **هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون** ﴾ ( سورة يونس ٣٥ ) .

فالخلق والهداية من خصوصيات الرب تبارك وتعالى . فمن نازعه شيئاً منها فقد نازعه شيئا من الربوبية بل نصب نفسه رباً من دون الرب تبارك وتعالى وإن أحدا من الناس ليس فى مقدوره أن يدعى منازعة الرب فى ربوبيته فى معنى الخلق ولا فى عموم الهداية والأمر فن من الناس يستطيع أن يدعى أن خلق ذرة فى السموات والأرض ومن منهم يستطيع أن يدعى أن له ذرة من الأمر فى السموات والأرض فيأتى بالشمس من المغرب بعد أن كان الله يأتى بها من المشرق .

ولقد قال إبراهيم عليه السلام للذى حاجه فى ربه : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ﴿ **والله لايهدى القوم**

**الظالمين ﴾** البقرة / ٢٥٨ .

فعجز أن يحول الشمس عن مسارها الذى هداها الله إليه فضلاً عن أن خلقها إبتداء فالرب وحده سبحانه الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هداه وسن له سنة وقانوناً وهو بعد ذلك الذى يدبر الأمر كله ولئن سألت الناس كل الناس لقالوا فقال تعالى : **﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾** ( سورة العنكبوت ٦١ ) . وقال تعالى : **﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾** ( سورة يونس ٣١ ــ ٣٢ ) .

وإن الرب الذى خلق وهذى ويدبر الأمر فى السماء والأرض ويصرف الرياح وينزل من السماء رزقاً ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء فهو الإله الحق الذى لايرجع إلا إليه ولا يعبد إلا إياه وهو الله الذى لا إله معه قال تعالى : **﴿ ءالله خير أمايشركون ، أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ، أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ماتذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾** ( سورة النمل ٥٩ ــ ٦٤ ) .

فكل شيء فى الكون عدا الثقلان خاضع مطيع لله لن ينشق عن أمر ربه أبداً ولن يشذ عن هديه **﴿ وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون ﴾** ( سورة آل عمران ٨٣ ) ــ وقال للسموات والأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين .

وقال تعالى : **﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً**

**وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾ ( سورة الرعد ١٥ ) .

وقال سبحانه : ﴿ **أولم يروا إلى ماخلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون ، ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابه والملائكة وهم لايستكبرون** ﴾ ( سورة النحل ٤٨ ، ٤٩ ).

ويقول تعالى : ﴿ **والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** ﴾ ( سورة يس ٣٨ — ٤٠ ) .

فأى مدع للربوبية يستطيع أن يغير هذا النظام ، وأى مدع للربوبية يستطيع أن يخضع الشمس والقمر والنجوم والسموات والأرض لأمره وقد أبين إلا الخضوع لأمر الله . قال سبحانه جل شأنه : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا** ﴾ ( سورة الأحزاب ٧٢ ) .

والإنسان هو الذى حمل الأمانة وهو الذى قد يطيع الله وقد يفسق وقد يؤمن وقد يكفر ويترك هدى ربه كما قال فرعون لقومه ﴿ **ماأريكم إلا ماأرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾ ( سورة غافر ٢٩ ) ، والتى تساوى قوله لهم حين كذب : ﴿ **وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾ ( سورة النازعات ٢١ — ٢٤ ) . والتى لم يعن بها إنه خلق السموات والأرض أو يدبر الأمر فيها وهم فهموا ذلك بل أراد الربوبية من جانب الهداية فهم والأمر ثم أراءهم إن يخضعوا له ﴿ **ماعلمت لكم من إله غيرى** ﴾ ( سورة القصص ٣٨ ) . ونفهم من هذه الآيات أن من نصب نفسه هادياً للناس من دون الله فقد نصب نفسه رباً لهم وأنه لم يكن يستطيع ذلك إلا فى الناس والفاسقين منهم فقط حيث إنهم باعوا رضوان الله وثواب الآخرة برضوان الناس وزخرف الدنيا وفسقوا عن أمر الله وعن هديه ، فيقول لهم فرعون كما قال عن الله تبارك وتعالى : ﴿ **ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين** ﴾ ( سورة الزخرف ٥١ ، ٥٢ ) . مبيناً لهم بزعمه دلائل ربوبيته

وأفضليته على نبى الله وامتلاكه لما يرغبون من نعيم الدنيا فضلاً عما يستطيع أن يوقعه بهم من عذاب وبذلك يخضعهم وينصب نفسه رباً عليهم ويخضعون له راضين طائعين لا لأن يستطيع خلقاً أو أمراً ولا لأنه يهدى بشرع ذو قيمة فى نفسه ولكن لأنهم أصلاً فاسقون وقال تعالى : ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأضل فرعون قومه وما هدى** ﴾ ( سورة الزخرف ٥٤ ، سورة طه ٧٩ ) .

والمؤمنون فقط هم الذين لايخضعهم طاغوت لأمره ولو باعوا الدنيا ونالوا فيها من الآلام مانالوا ، وذلك أن ثواب الآخرة أعظم وأفضل وأبقى وكذلك عذابها ـــ ولأنهم خاضعون لله خضوع كل شيء له وضرب الله لنا مثلاً سحرة فرعون حين كانوا من الفاسقين أخضعهم فرعون لترغيبه وترهيبه لنفسه إذ كانوا عباداً للدنيا إذ ذاك وقال الله تعالى عنهم : ﴿ **فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ، قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين ، قال لهم موسى ألقوا ماأنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون * فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف مايأفكون فألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون** ﴾ ( سورة الشعراء ٤١ ـــ ٤٨ ).

وانقلبوا إلى صفوف المؤمنين وأصبحوا كالشمس لايستطيع طاغوت أن يشرقهم من المغرب أو يغربهم من المشرق وأفرغ فرعون وعيده فقال ﴿ **آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم** الذى **علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لاضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين** ﴾ ( سورة الشعراء ٤٩ ـــ ٥١ ) .

وقالوا أيضاً حين قال لهم ﴿ **فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ماأنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** ﴾ ( سورة طه٧١ ـــ ٧٣ ) .

فما خضع الخاضعون لغير الله إلا لفسقهم وما فروا إلا بإيمانهم وقال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ **اذهب إلى فرعون إنه طغى** ﴾ طه / ٢٤ ، وأى طغيان أعظم من أن يخلق الإنسان ليكون عبداً فيريد أن يكون رباً ومن أجل ذلك فقد عُبر عن طغيان هذا الهادى بغير هدى الله المحل مما حرم الله والمحرم لما أحل الله الشارع شرعة غير شريعة الله والحكم فى الأمر حكما غير حكم الله والجاعل نفسه بذلك بزعمه ربا من دون الله عبر عنه بصيغة المبالغة فى الطغيان فسماه الله طاغوتاً قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾ النساء ٦٠ .

وكان الطاغوت هو الشيء الذى يتحاكم إليه من دون الرب تبارك وتعالى ولا عجب إذا أن تذكر كلمة طاغوت فى كتاب الله إلا فى موضوع المقابلة والمحادة للرب تبارك وتعالى فى مثل قوله تعالى : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انقصام لها** ﴾ البقرة / ٢٥٦ .

وفى قوله تعالى : ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد** ﴾ الزمر ١٧ .

ويبين الله تعالى أن الطاغوت وحزبه فى جانب وأنه هو سبحانه وتعالى وحزبه المؤمن فى الجانب الآخر قال تعالى : ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ( سورة البقرة ٢٥٧ ) . ويقول تبارك وتعالى : ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا** ﴾ ( سورة النساء ٧٦ ) .

ولخص الله تبارك وتعالى رسالة كل من أرسل من رسله من قوله : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة** ﴾ النحل ٣٦ .

**فالطاغوت عدو الله وند له إمام للعاصين وأظلم الظالمين** ومن أظلم ممن **افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء ومن قال سأنزل**

**مثل ماأنزل الله ﴾** ( سورة الأنعام ٩٣ ) . ولكنهم الآن لايقولون سننزل مثل ماأنزل الله بل يقولون بلسان حالهم سننزل أفضل مما أنزل الله .

وإلا لما قدموه وفضلوه على شرع الله عملاً وتطبيقاً لهذا الطغيان و لم يقف طغيانهم عند حد . تنصب أنفسهم هداه مفضلين شرعهم على شرع الله بل تعداه إلى إخضاع الناس لما شرعوا .

وقال تعالى فى هذا المعنى على لسان موسى يخاطب فرعون : **﴿ وتلك نعمة تمنها علّى أن عبدت بنى إسرائيل ﴾** ( سورة الشعراء ٢٢ ) . أى قد أخضعتهم لأمرك وقهرتهم عليه ويقول قوم فرعون **﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾** ( سورة المؤمنون ٤٧ ) ــ أى الخاضعون .

ويقول فرعون لموسى عليه السلام : **﴿ لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾** ( سورة الشعراء ٢٩) .

هكذا طغيان وتأله ، فهل يُساورِك بعد ذلك شك فى أن الطاغوت عدو لله مبين وفى أنه لامفر من اجتنابه وذلك بترك هدايته إلى هداية الرب تبارك وتعالى واسمعى قول الله تعالى عاقداً لصلة بين الشرك بالله بطاعة الطاغوت فيما أحل وفيما حرم من دون الله وبين بلاغ الرسل لاجتناب هذا الطاغوت وعبادة الله وحده ويقول الله عز وجل : **﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا أباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسول إلا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً . أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾** ( سورة النحل ٣٥ ، ٣٦ )

وقال تعالى : **﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾** ( سورة الزمر ١٧ ، ١٨ ) . وماذا تكون عبادة الله إلا طاعته وحده واتباعها رسله وإقامة ماأنزل واسمعى إن شئت قول الرب عز وجل على لسان يوسف الصديق .

**﴿ ياصاحبى السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**

**ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ﴾** ( سورة يوسف ٣٩ ، ٤٠ ) .

**﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾** يوسف / ٤٠ . ولمن الحكم إذا لم يكن لله ؟ أليس الله بأحكم الحاكمين .

قال تعالى : **﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾** المائدة / ٥٠ . ويقول **﴿ أفغير الله أبتغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾** الأنعام / ١١٤ .

ويقول : **﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾** ( سورة القصص ٧٠ . فالحكم لله وحده أولاً وأخيراً لا لغيره .

فإن الله سبحانه ماأرسل الرسل ولا أنزل الكتب إلا لطاعته بما أنزل وبما أوحى فقال تعالى : **﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾** البقرة / ٢١٣ .

وقال عز وجل لنبيه ﷺ : **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾** النساء ١٠٥ .

وقال أيضاً **﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾** المائدة / ٤٨ .

وقال عز من قائل لنبيه ﷺ : **﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾** ( سورة النساء ٦٥ ) .

وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيراً من الناس لفاسقون ﴾ وقال تعالى : **﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾** ( سورةالمائدة ٥٠ ) . وقال تعالى :

**﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ﴾** ( سورة النحل ١١٦ ) . وقال للذين أحلوا وحرموا بغير سلطان من الله : **﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لايهدى القوم الظالمين ﴾** ( سورة الأنعام ١٤٤ ) .

ويقول تبارك وتعالى : **﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾** الشورى / ٢١ .

وبيّن كذلك أنهم أصحاب النار بتحديهم لحدود الله ومعصيتهم إياه فى أن يحكموا بما أنزل واوحى . إذ قال : **﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾** النساء / ١٤ وضرب لهم السوء إذ قال : **﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين ﴾** ( سورة الجمعة ٥ ) .

وبيّن كذلك أنهم أصحاب النار بتعديهم لحدود الله ومعصيتهم إياه فى أن يحكموا بما أنزل وأوحى . إذ قال : **﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾** النساء / ١٤ . وضرب لهم مثل السوء إذ قال : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين ﴾

ويقول تبارك وتعالى أيضاً : **﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾** ( سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦ ) .

ثم يبين الله تعالى أن أهل الكتاب والناس جميعاً ليسوا على شيء من الهدى أو التقى أو الإيمان أو القرب من الله حتى يقيموا ماأنزل إليهم من ربهم فيقول عز وجل .

**﴿ قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما**

**أنزل إليكم من ربكم ﴾** المائدة / ٦٨ .

**﴿ وليزيدن كثيراً منهم ماأنزل إليك من ربك طغياناً وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ﴾** ( سورة المائدة ٦٨ ) .

وإن الحكم بما أنزل الله يدخل فيه القول والفعل يعنى الفتيا ( الفتوى للناس ) والتنفيذ فكل من قال فى حكم من الأحكام فى الأشياء والأفعال وفى الناس بغير حكم الله فيه بل من تردد أوشك أو أعرض إلا أن يقول عما قال الله ويحكم بما حكم الله فقد أدخل نفسه يقينا وقطعاً بأن لايحكم بما أنزل الله فمن قال التنمص حلال أو التبرج حلال أو النقاب ليس فى شرع الله فقد حكم بغير ماأنزل الله مهما كان شيخا أو عالما .

فكل من لم يحكم بحكم الله بَدّل هذا الحكم أو كتم فهو عاص لله حيث إنه حكم بشرع من عنده هوى أو شيطاناً أو طاغوتاً وإن كان من الذين كتموا حكم الله .

حين الحكم ولم يحكموا به فأولئك الذين قال عنهم : **﴿ إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾** ( سورة البقرة ١٥٩ ، ١٦٠ ) .

وقال تعالى : **﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾** ( سورة النساء ٦٥ ) . أو قوله : **﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾** ( سورة النور ٤٧ ) .

أو قوله تعالى : **﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ﴾** ( سورة المائدة ٤٩ ) .

وقوله تعالى : **﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾** ( سورة التوبة ٣١ ) . قال عدى بن حاتم الذى كان نصرانياً وأسلم حين سمع هذه الآية : إنهم لم يعبدوهم فقال الرسول صلوات ربى وسلامه عليه بلى إنهم

حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم . وقال تعالى : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله** ﴾ ( سورة الشورى ٢١ ) . وقال أيضاً : ﴿ **يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً** ﴾ ( سورة الأحزاب ٦٦ ــ ٦٨ ) . وكذلك الذين جزءوا هدى الله وشرعه أجزاء يؤمنون بجزء يحكمون به يوافق أهواءهم ويكفرون بجزء لايحكمون به نفرت منه نفوسهم هم الذين قال الله فى أفعالهم ﴿ **كما أنزل على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ ( سورة الحجر ٩٠ ــ ٩٣ ) .

وقال أيضاً : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ البقرة / ٨٥ .

فهؤلاء غلموا آيات الله فآمنوا بالبعض إذا عملوا بها وتركوا البعض الآخر وكفروا به وعصوا ربهم فى النهاية ونسبوا إلى الله باطلاً وإحسانه فى جزء أخذوه زينوا به جاهليتهم وإساءته فما بقى فتركوه وفضلوا شرعاً آخر عليه فتعالى الله عما يشركون ، ولقد حذر الله رسوله والمؤمنين من ذلك فقال تعالى : ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً** ﴾ ( سورة الإسراء ٧٣ ــ ٧٥ ) . وقال تعالى : ﴿ **ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك** ﴾ ( سوة المائدة ٤٩ ) . ويقول تعالى : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾ ( سورة النساء ١٥٠ ، ١٥١ ) .

وقد ذكر لنا الله هؤلاء الزاعمين للإيمان المتحاكمين لشريعة الإسلام فى

البعض التاركين للبعض فى آيات من القرآن فذكر ذلك عنهم فى سورة النساء فقال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى لطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً** ﴾ ( سورة النساء ٦٠ ، ٦١ ) ولكن حين تصيبهم مصيبة من جزاء تركهم الحكم بما أنزل الله فيجيئون يلتمسون من الإسلام حلا لعقدهم فيقول تعالى : ﴿ **فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً** ﴾ ( سورة النساء ٦٢ ) .

فهم زاعمون دائماً أنهم أرادوا الإحسان والتوفيق بين شرع الله وشرع البشر .

ويقول الله لرسوله فيهم : ﴿ **أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم فأعرض عنهم** ﴾ ( سورة النساء ٦٣ ) . أى لاتحكم لهم فماذا يفيدهم أن يحتكموا فى جزء لله وقد رفضوا أصلاً أن يقفوا على قاعدة سمعنا وأطعنا لله ورسوله فى البيع والشراء والحجاب وكل الأحكام الشرعية ولكن يقال لهم فى أنفسهم الموعظة والقول البليغ الذى يعيدهم إلى دائرة الإيمان .

فيقول تعالى : ﴿ **أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً** ﴾ النساء / ٦٣ .

قل لهم آمنوا بكل ماأنزل الله واستغفروه .

ثم يقول تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** ﴾ ( سورة النساء ٦٤ ) .

وحكم الله ( **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ النساء ٦٥ .

هذا فإن دعوة الناس للإيمان هو أن يرضوا بحكم الله وشرعه علموا تفصيل هذا الحكم أم لم يعلموه بل عليهم أن يعلموا أنه لو كتب الله عليهم

قتل أنفسهم أو الخروج من ديارهم في سبيله فما عليهم إلا أن يقولوا سمعنا وأطعنا وليس ذلك بمستغرب فقد قال تعالى : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه إلا قليل منهم** ﴾ ( سورة النساء ٦٦ ) . ألا وهم المؤمنون وإن مثلاً فى ذلك ياأختى المسلمة لإسماعيل عليه السلام .

قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى .

وهل للمؤمنين أى قول بعد كلام الله ؟

إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ولم يكن هذا الأمر إلى إسماعيل وإبراهيم صلاة وزكاة أو حجاً أو جهادا بل كان كما سمعت يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى فماذا قال إسماعيل ؟ قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الأخرين سلام على إبراهيم . هذا هو المثل للمؤمنين أما الفاسقون عن أمر الله الذين رفضوا أن يخضعوا لله فى أقل من ذلك . فمنهم الذين قد علمت حكم الله فيهم . وذكر الله عن هؤلاء المقتسمين فى سورة المائدة .

حين لايأخذون من حكم الله إلا ما يهوون ويدعون أو يتركون ما يهوون فقال تعالى عنهم وعن أهل الكتاب من اليهود الذين رفضوا الإيمان بما جاء به محمد ﷺ جملة ثم يأتون ليحكم لهم بما يهوون يقول تبارك وتعالى عن هؤلاء : ﴿ **ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا أمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت** ﴾ ( سورة المائدة ٤١ ، ٤٢ ) .

ثم يقول لرسوله ﷺ : ﴿ **فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم**

**وأن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾** ( سورة المائدة ٤٢ ـــ ٤٣ ) .

وفى سورة النور ذكر الله تبارك وتعالى مثلاً آخر وذلك حين إذعانهم لحكم الله فيما يكون لهم فيه حق وتوليهم فيما عدا ذلك فقال تعالى : **﴿ ويقولون أمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾** ( سورة النور ٤٧ ، ٤٨ ) . هذا دينهم وذلك هو حالهم إعرض وصد عن حكم الله ووقوف على قاعدة العصيان ثم يأتون .... ولكن متى ؟ يقول الله تعالى : **﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون إن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾** ( سورة النور ٤٩ ـــ ٥١ ) .

ومثل آخر ذكره لنا رسول الله ﷺ عن الذين يؤمنون بالبعض ويكفرون بالبعض الآخر وبالذات عن هؤلاء الذين يقولون « بيننا وبينكم كتاب الله ماوجدناه حلالاً حللناه وما وجدناه حراماً حرمناه » تاركين كلامه ﷺ وفعله مكذبين له مع أنه هو المبين والمفصل لكلام الله .

وقال الله تعالى له : **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ﴾** ( سورة النحل ٤٤ ) .

وقال تعالى : **﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾** ( سورة النساء ٨٠ ) .

وقال تعالى : **﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾** ( سورة الحشر ٧ ) .

وقال تعالى فى سورة آل عمران : **﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين ﴾** ( سورة آل عمران ٣٢ ) .

وقال تعالى فى سورة النور وفى معرض الكلام عن المخالفين للرسول

صلوات ربى وسلامه عليه وطاعتهم إياه قال تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ ( سورة النور ٦٣ ) .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا** ﴾ ( سورة الجن ٢٣ ) .

فهذا هو كلام الله الذى يزعمون التمسك به يأمرهم بطاعة رسوله ﷺ ويحذرهم من معصيته .

روى البخارى : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يارسول الله . قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » .

فهؤلاء الرافضة لبيان النبى ﷺ بما أوحاه إليه ربه صنف آخر من الذين يفرقون بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا .

ونردد قوله تعالى : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ فإذا حرم رسول الله ﷺ الذهب للرجال قلنا سمعنا وأطعنا لرسول الله وإذا أمر رسول الله ﷺ بإعفاء اللحية قلنا سمعنا وأطعنا لرسول الله فهذا حكم الله أمرنا بطاعة رسوله ﷺ .

والآن فيأيتها الأخوات أى ذنب أعظم من أن تعبدوا غير الذى خلقكم وتنادوا الذى لايسمعكم وهم من عبادتكم غافلون . وأى خطة أرشد وأكرم من أن تعبدوا الذى خلقكم وإليه ترجعون وتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وقوله تعالى ﴿ **إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾ ( سورة يوسف ٤٠ ) .

بهذا الكلام قد علمنا أن الطاعة لله ورسوله لا لشيطان أو هوى وأن الإسلام هو الاستسلام لله ورسوله ولا مساومة فى أمر العبادة .

# الحجاب وهدفه فى نظر الإسلام

قبل أن نتعرض لموضوع الحجاب وهدفه فى نظر الإسلام أذكرك بحقيقتين يجب أن تكونا معنا على مدار الكلام وملء وعينا وإدراكنا .

**الحقيقة الأولى :**

إن الإسلام لا يحرم الإنسان ذكرا كان أم أنثى حظه من متع الحياة وطيباتها سواء فى مأكل الإنسان أو مشربه أو ملبسه أو علاقاته بغيره ، وقد سبق بيان ذلك .

**الحقيقة الثانية :**

إن مجتمع الإسلام مجتمع عقيدة ونظام ، وهذا أبرز مايميز الإسلام فى عقيدته وشريعته ، ونظامه وعقيدته قائمة على أساس تحقيق الإنسانية فى الإنسان ، والتى تميزه عن غيره من سائر الأحياء وبين هاتين الحقيقتين يعيش الإنسان بروحه وجسده ، وطبيعة النظام تقتضى أن تكون هناك ضوابط يلتزم بها الإنسان ذكرا كان أم أنثى ، حتى لايتحول أمر المجتمع إلى فوضى فى أى ناحية من نواحيه ، ونواحى المجتمع متشابكة ، إذا أصاب الخلل إحداها كان رد الفعل فى بقية النواحى . تلك حقائق يجب أن تكون فى ذهنك ونحن نتناول هذا الموضوع الذى كثر فيه الجدل وطال .. وما كان ينبغى أن يحدث مثل هذا الجدل فى مجتمع إسلامى ، يقول الله فى القرآن المجيد الذى أنزل ليكون دستورا له : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾ سورة الأحزاب ٣٦ .

فإذا كان الإسلام يوجه إلى الحشمة ويأمر بها لما يترتب على التحلل من مضار ، فإنه يترك تكييف الشكل الذى تكون به الحشمة إلى معطيات البيئات

والأجيال والمهم فى الأول والأخير ألا يكون فى المجتمع الإسلامى عرى يهيج الغرائز ، ويثير الشهوات الهابطة ويدفع إلى طريق الفساد فالنظرة المسمومة والجسد الخليع ، هما أول خطوة على طريق الفساد ، لايقبلهما المجتمع الإسلامى وليس فى هذا حجر على الحرية ، وإنما هو توقية للمجتمع من أخطار الاستهتار والعرى والتحلل .

فالفتاه التى تلبس فستانا عارى الظهر ، عارى الصدر ، عارى الأذرع ، أو قصيرا يكاد يكشف مالا ينبغى ذكره ، وتسير فى الطريق أو تجلس فى السيارة أو فى ( مكان عام ) وسط الرجال والشبان ، لاتمارس حريتها ، وليس ذلك هو المقصد ، وإنما المقصد ـــ حقيقة ـــ ولنكن صرحاء ـــ هو استجداء النظرات أو التقليد البغيض الذى استعبدها وأذلها . ولم تدرأنها تمتهن كرامتها وتعرض جسدها على الناظرين ونحب أن نلفت النظر إلى الفرق الكبير بين استجداء النظرات الهابطة والاحترام فهو الفرق بين الباطل والحق . ومايبدو من إعجاب لبعض المستهترات فهو فى واقعه غلاف زائف يحتوى معانى غير شريفة . وأما الاحترام فلا يحتوى إلا الإكبار وكل معنى شريف .

ويكفى الأخت المسلمة التى تحترم مظاهر دينها أنها ممن يكتسبن الاحترام والإكبار ، ولا تخرج النظرة إليهن عن هذا المعنى الجليل ، ولا يقلل من هذا نباح بعض الكاتبات بما تظن أنه يجرح كرامتهن ويخجل الثقة فى نفوسنا نحن المسلمات الملتزمات. ويكفى أنه نباح منهن ومن مثلهن على قافلة الإيمان الواثقة بنفسها ، والتى ترضى الله بتنفيذ أمره ووصاياه التى يقول فيها قولا صريحا لا مجال معه لتأويل أو تعسف فى التفسير .

**﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من**

زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيّه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ ( سورة النور ٣٠ ــ ٣١ ) .

والآية الكريمة واضحة وصريحة فى جواز إبداء الزينة فى الحالات التى يؤمن فيها ظهور دافع غير شريف ومع من أنيط بهم الحفاظ على كرامة المرأة والدفاع عن عرضها وهم من تربطهم بها صلات القرابة : الزوج والأب وأب الأب ، والأبناء أبناء الزوج والأخوة وأبناء الأخوات والأطفال الذين لم ينبعث فيهم الشعور الجنسى ونحوهم مما يكون الأمر معهم فى مأمن .

وهذا أمر من الله تعالى للنساء المسلمات يجب عليهن التزام حدوده وتنفيذه . هو قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها** ﴾ ( سورة النور ٣١ ) .

أى لايظهرن شيئا منها للأجانب ، وهم ماعدا الذين ورد ذكرهم فى الآيات الكريمة . روى عن ابن عباس ومن تابعه . أنه فسر ماظهر منهما بالوجه والكفين ويعزز هذا الرأى مارواه أبو داود فى سننه ، أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أخت زوج للنبى ﷺ دخلت ذات مرة فى لباس رقيق يشف عن جسمها فأعرض عنها النبى ﷺ . وقال : « ياأسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه »[١] .

يعنى أن تغطى المرأة بالخمار فتحة القميص والصدر والرقبة . والخمار غطاء الرأس الذى تدارى به المسلمة مواقع الفتنة من وجهها وعنقها فلا تتعرض للعيون المتربصة .

والمؤمنات اللاتى تلقين هذا النهى وقلوبهن مشرقة بنور الإيمان أسرعن على الرغم من العادة إلى الاستجابة عن طاعة وثقة . وقد كانت المرأة فى الجاهلية كما هى اليوم فى الجاهلية الحديثة !! كاشفة الصدر وغير الصدر . فلما نزلت

---

( ١ ) أخرجه أبو داود والبيهقى عن طريق سعيد بن بشير عن خالد بن دريك عن عائشة قال أبو داود عنه . هذا مرسل وخالد بن دريك لم يدرك عائشة . وقال الشيخ الألبانى . وسعيد بن بشير ضعيف لكن للحديث طرق أخرى يتقوى بها وقد أخرجه البيهقى بإسناد حسن وقوله تعالى : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ .

هذه الآيات الكريمة كن كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها :

يرحم الله نساء المهاجرين الأول ، لما أنزل الله ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ ( سورة النور ٣١ ) . شققن مروطهن فاختمرن بها ، والمروط جمع مرط وهو ثوب يشبه العباءة تقريبا .

وعن صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة قالت فذكرن نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة رضى الله عنها : إن لنساء قريش لفضلا ، وإنى والله مارأيت أفضل من نساء الأنصار وأشد تصديقا لكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل لما نزلت فى سورة النور ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ ( سورة النور ٣١ ) . انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ماأنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته فما فيهن إمرأة ألا قامت إلى مرطها المرحل ، فاعتجرت به تصديقاً وإيمانا بما أنزل الله من كتابه . فأصبحن وراء رسول الله ﷺ . معتجرات كأن على رءوسهن الغربان .

إن هذه الدعوة المؤكدة إلى الحشمة وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة . ومن أجل ذلك أبيح للمرأة أن تبدى زينتها للرجال الآتى ذكرهم من أهلها . وهم الزوج والأب وأبو الزوج والأبناء وأبناء الأزواج والأخوة وأبناء الأخوة والأخوات وكذلك أبيح لها أن تبدى زينتها لمن ليس لديهم ميل شهوانى كالأطفال الذين لم ينبعث فيهم الشعور الجنسى ، وكذا النساء العفيفات أو ذوى قرابتهن .

وعن ابن عباس رضى الله عنه صرح بأنه ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولاأن تبدى للكافرة إلا ماتبدى للأجانب ، وهذا الحكم مقصود به صون المسلمات عن العشرة والمخالطة التى من شأنها أن يكون لها رد فعل غير محمود بالنسبة للمسلمات وكل ذلك صريح فى قوله تعالى :

﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ ( سورة الأحزاب ٥٩ ) . ولما كانت الوقاية هى المقصودة فقد مضت الآيات الكريمة تنهى المؤمنات من الحركات التى يقصد بها لفت النظر والإعلان عن الزينة المستورة وإيقاظ المشاعر ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن** ﴾ ( سورة النور ٣١ ) .

ووجوب ملاحظة أن تكون ملابس المرأة ساترة لجميع بدنها ويجب أيضا أن تكون فضفاضة حتى يكون ذلك المظهر مانعا من أن تمتد إلى نساء المسلمات عين أو لسان بالأذى ممن نراه ونسمعه ممن تسول لهم أنفسهم التوقح مع اللواتى يتعرين ويظهرن ماأمر الله أن يكون مستورا من لحومهن .

**﴿ ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما ﴾** ( سورة الأحزاب ٥٩ ) .

فتوجيه الخطاب الصريح إلى النبى ﷺ وبناته ونساء المؤمنين دليل على أن جميع النساء مطالبات بتنفيذ هذا الأمر دون استثناء واحدة منهن مهما بلغت من الطهر ولو كانت فى طهارة بنات النبى ﷺ ونسائه .

وهدف قوله تعالى فى آخر الآية : **﴿ إن الله كان غفورا رحيما ﴾** ( سورة النساء ١٠٦ ، والأحزاب ٢٤ ) . إن المسلمة إذا التزمت حدود الحشمة وسترت بدنها يغفر الله لها ماسلف ومضى مما قصرت عنه وخرجت عن حدوده غز وجل من ترك الستر .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ تحذر النساء من العرى والميوعة لما لها من آثار سيئة وخطيرة على الفرد والجماعة . فقال ﷺ : « لعن الله الكاسيات العاريات »[1] .

والكاسيات العاريات هن اللاتى يلبسن ملابس تستر بعض جسدهن وتكشف البعض الآخر إظهارا للجمال ونحوه من أسباب الإثارة .

وقال ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما . قوم معهم سياط كأذناب

---

( ١ ) ورد بلفظ : « سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف . العنوهن فإنهن ملعونات » .

أخرجه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمرو . وقال مصححه الأستاذ أحمد شاكر . إسناده صحيح وأخرجه الطبرانى . وقال الشيخ الألبانى . إسناده حسن وقد ورد فى صحيح مسلم فى معناه وهو الحديث الآتى ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده الله يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ .

أما شرط الحجاب وما يشترط فى الزى الإسلامى حتى يرضى الله سنشرحها لك إن شاء الله .

البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات **مميلات ،** **ورءوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها** ليوجد من مسيرة كذا وكذا

والمائلات : هن اللاتى يملن عن طاعة الله وما يلزمهن من حفظ حدوده : اللاتى يعلمن غيرهن هذا الفعل المزموم ، سواء بالدعوة إليه أو القدوة السيئة . المميلات البخت : بضم الباء ، نوع من أنواع الحيوان المعروف بالجمل ذى السنام الذى يتحرك يمينا وشمالا بحركة الجمل » .

وفى هذا التشبيه الدقيق مايظهر لنا من كثير من المائعات اللاتى يمشين متبخترات مشية معينة تبدو فيها الميوعة المستهترة كراقصات فاجرات على خشبة المسرح . تترفع عنها من تحترم إنسانيتها ، وتحفظ لحمها وعرضها أن يكون مباحا للناظرين .

هذه هى أوامر الله وتعاليم رسوله ﷺ : فلابد ياأختى من اتباعها واحترامها . فالله تعالى يقول : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا** ﴾ الأحزاب / ٣٦ .

لابد أن تعلمى ياأخت أن الحجاب الشرعى له شروط لايصح إلا بهما كما لاتقبل الصلاة إلا بطهور ولا تكون صحيحة إلا به .

وكذلك الزى الشرعى له شروط لاتصح إلا به :

**أما شروط الحجاب وما يشترط فى الزى الإسلامى حتى يرضى الله ورسوله فهى :**

١ ـــ استيعاب جميع البدن إلا ماستثنى الوجه والكفين فى حالات معينة كالشهادة وكذلك فى الصلاة كما قال النبى ﷺ « لايقبل الله صلاة حائض إلا بخمار » حديث صحيح .

والتطبب والتعلم والزواج . فيجوز ظهور الوجه عند أمن الفتنة وإن تغطية الوجه هى الأصل وقد ندب الشرع لها ندبا شديدا ولها أصل فى السنة وكان معهودا ذلك فى عهد رسول الله ﷺ . ولا يجوز زى شرعى بغير الشروط

التى شرطها الله علينا فى كتابه وسنة رسوله ﷺ أما أى زى من غير هذه الشروط فهو من الهوى أو من وحى الشيطان مثل الأزياء التى تعرض فى محلات ملابس المحجبات ولا يتوفر فيها الشروط الشرعية .

**أولاً : استيعاب جميع البدن إلا ماستثنى :**

**﴿ ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما ﴾ .**

أمر الله نبيه الكريم أن يوجه النداء إلى الأمة جميعا للتمسك بالاسلام وتعاليمه الرشيدة . وبالأخص فى أمر اجتماعى خطير وهو الحجاب الذى يصون للمرأة كرامتها ويحفظ عليها عفافها . ويحميها من النظرات الجارحة والكلمات اللاذعة والنوايا الخبيثة لئلا تتعرض لأذى الفساق .

فقال ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهم من جلابيبهن .. أى قل يامحمد لزوجاتك الطاهرات ــ أمهات المؤمنين وبناتك الفضليات الكريمات وسائر نساء المؤمنين قل لهن يلبسن الجلباب الواسع الذى يستر محاسنهن وزينتهن ويدفع عنهن ألسنة السوء ويميزهن عن صفات نساء الجاهلية روى الطبرى عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة وروى ابن كثير عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة السلمانى عن قول الله عز وجل ( يدنين عليهن من جلابيبهن فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى ) .

ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أى ذلك التستر أقرب بأن يعرف بالتستر والصيانة لها فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد وكان الله غفوراً رحيما أى أن الله تعالى غفور لما سلف منهن من تفريط رحيم بالعباد حيث راعى مصالحهم وشئونهم فى تلك الجزئيات فقد علمنا بتفسير هذه الآية أنها خاصة بستر الوجه وقال تعالى ( عليهن ) أى عليها لأن عليهن لاتفيد التخصيص أى عليها كلها جميع جسمها .

فإذا علمت المرأة بأن من حولها قد ينظر إليها النظر المحرم الذى نهى الله

تعالى عنه بأن النظر تتبع النظر ولا تستطيع أن تزيل هذا المنكر إلا بالستر وأن يكون ذلك فى حالة تثير الفتنة بأن تكون مزينة أو جميلة وكذلك إذا كانت تظهر أمام فساق يغلب الظن أنهم لايغضون أبصارهم فهى مطالبة بستر وجهها لتزيل هذا المنكر وتمنع عنها النظر إلى وجهها وحتى لو لم تكن جميلة فواجب عليها أن تمنع نظر الفساق إليها وليكن بستر وجهها فإن تغطية الوجه هى الأصل وقد ندب الشرع إليها ندباً شديدا .

وكان ذلك معهودا فى زمن النبى ﷺ والنصوص متضافر على إن نساء النبى ﷺ كن يحجبن وجوههن ، وإليك بعض الأحاديث والآثار التى تؤيد مانقول :

**١ ــ عن عائشة :**

خرجت سودة بعد ماضرب الحجاب ( أخرجه البخارى ومسلم ) لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لاتخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب فقال : ياسودة أما والله ماتخفين علينا فانظرى كيف تخرجين . قالت : فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ وفى بيتى وأنه ليتعشى وفى يده عرق وهو العظم ( إذا أخذ منه معظم اللحم ) .

فدخلت عليه فقالت يارسول الله إنى خرجت لبعض حاجتى فقال لى عمر كذا وكذا قالت : فأوحى الله إليه ، ثم رفع عنه وأن العرق فى يده ماوضعه ، فقال : إنه إذن لكن أن تخرجين لحاجتكن .

وكانت عائشة جالسة فى منزلها فقالت غلبتنى عينى فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأدلج السير من أول الليل فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فأتانى فعرفنى حيث رأنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت . ( ومن رواية فسترت وجهى عنه بجلبابى ) .

وعن أنس فى قصة غزوة خيبر واصطفائه ﷺ لنفسه قال . فخرج رسول الله ﷺ من خيبر ولم يعرس فلما قرب البعير لرسول الله ﷺ ليخرج ، وضع رسول الله ﷺ رجله لصفية لتضع قدمها على فخذه فأبت ووضعت ركبتها على فخذه وسترها رسول الله ﷺ وحملها وراءه ، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها ثم شده من تحت رجلها ، وتحمل لها وجعلها بمنزلة نسائه .

وعن عائشة قالت :

كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذوا بنا أسدلت إحدانا جلبابهامن رأسها على وجهها فإذا جاوزناه كشفناه .

وعن أسماء بنت أبى بكر قالت :

كنا نغطى وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك فى الإحرام .

وعن صفية بنت شيبة قالت :

رأيت عائشة طافت بالبيت وهى منتقبة .

عن عبدالله بن عمر قال :

لما إجتلى النبى ﷺ صفية رأى عائشة منتقبة وسط الناس فعرفها .

عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف :

أن عمر بن الخطاب أذن لأزواج النبى ﷺ فى الحج فى آخر حجة حجها وبعث معهن عثمان بن عفان قال : كان عثمان ينادى ألالايدنو إليهن أحد ولا ينظر إليهن أحد وهن فى الهوادج على الإبل فإذا نزلن بصدر الشعب وكان عثمان وعبد الرحمن بذنب الشعب فلم يصعد إليهن أحد .

ففى هذه الأحاديث دلالة ظاهرة على أن الحجاب أى حجاب الوجه قد كان معروفاً فى زمن رسول الله ﷺ وأن نساءه كن يفعلن ذلك وغيرهم من نساء المؤمنين وهى أحاديث صحيحة حققها الشيخ الألبانى .

عن عاصم الأحول قال :

كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا : وتنقبت به فنقول لها يرحمك الله قال الله تعالى﴿والقواعد من النساء اللآتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾ هوالجلباب — قال فتقول لنا : أى شيء بعد ذلك ؟

فتقول وأن يستعففن خير لهنَّ .

فتقول : هو إثبات الحجاب .

مما ذكرنا أن ستر المرأة لوجهها ببرقع أو نحوه مما هو معروف اليوم عند النساء

المحصنات أمر مشروع محمود .

وأمر الله به فى سورة الأحزاب ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ ( سورة الأحزاب ٥٩ ) . والمراد بقوله عليهن أى على وجوههن لأن الذى كان يبدو منهم فى الجاهلية هو الوجه وهذا القول فى معظم التفاسير فقال ابن مسعود يدنين عليهن أى يغطين وجوههن وأبدانهن إذا ابرزن لداعية من الدواعى ، تكلمنا عن الشرط الأول هو استيعاب جميع البدن ولابد أن تعلمى ياأخت الإسلام أن الإسلام قد حذر من التبرج وذلك حين بايع النبى ﷺ النساء على أن لايفعلن ذلك .

فقال عبدالله بن عمر رضى الله عنه جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام ، فقال أبايعك على أن لاتشركى بالله شيئا ولا تسرقى ولا تزنى ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترين بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تتبرجى تبرج الجاهلية الأولى .

ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ ( سورة الأحزاب ٣٣ ) .

وقوله : ثلاثة لاتسأل عنهم ( رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا أمه أو عبد أبق فمات وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مئونة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنهم فالتبرج أن تبدى المرأة من زينتها ومحاسنها وما يجب عليها ستره .

وقال تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها** ﴾ ( سورة النور ٣١ ) .

**الشرط الثانى :**

ان لا يكون زينة فى نفسه .

لقوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن** ﴾ فلا يصح استخدام الألوان الصارخة والأقمشة المزخرفة لأنها متعارف عليها عقلاً وشرعاً بأنها زينة . وهى نوع من أنواع التبرج وقد نهى الله تبارك وتعالى عن التبرج .

ولا يصح قياس التبرج على العرف السائد ولكن التبرج بمقياس الشرع . فقد حبب الرسول ﷺ فى اللون الأسود . فعلينا الاقتراب منه كالبنى والكحلى والرصاصى والمقصود من الأمر بالجلباب إنما هو ستر زينة المرأة فلا يعقل حينئذ أن يكون الجلباب نفسه زينة .

وقال الإمام الذهبى فى كتابه الكبائر ص ١٣١ . الزينة : ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة إظهار الذهب واللؤلؤ تحت النقاب وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ولبسها الصباغات الحريرية فقد بين أن ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت الله فاعله فى الدنيا والآخرة وهذه التى قد غلبت على أكثر النساء وقال عنهن النبى ﷺ : « أطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء » .

ولقد بالغ الإسلام فى التحذير من التبرج إلى درجة أنه قرنه بالشرك والزنى والسرقة وغيرها من المحرمات . كما تسمعين فى حديث رسول الله ﷺ فى الكلمات السابقه ص ١٢٤

**وأما الشرط الثالث :**

أن يكون واسعا فضفاضا فالجلباب يكون فضفاضا غير ضيق لايصف شيئا من جسمها لأن الغرض من الثوب إنما هو رفع الفتنة ولا يحصل ذلك إلا بالفضفاض الواسع ؟ وأما الضيق فإنه وإن ستر لون البشرة فإنه يصف حجم جسمها أو بعضه ويصوره فى أعين الرجال وفى ذلك من الفساد والدعوة إلى مالا يخفى فوجب أن يكون واسعا وقد قال أسامة بن زيد كسانى رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبى فكسوتها امرأتى فقال مالك لم تلبس القبطية ؟ قلت كسوتها امرأتى فقال مرها فلتجعل تحتها غلالة ( بطانة ) فإنى أخاف أن تصف حجم عظامها .

فقد أمر ﷺ بأن تجعل المرأة تحت القبطية غلالة وهى قمـاش يلبس تحت الثوب ليمنع بها وصف بدنها والأمر يفيد الوجوب والحديث يدل على أنه يجب على المرأة أن تستر بدنها بثوب لايصفه وهذا شرط ساتر العورة وإنما أمر بالثوب تحته لأن القباطى ثياب رقاق لايستر البشرة عن رؤية الناظر بل تصفها .

**الادنـــــاء :**

هو التقريب يقال أدنى الشىء إذ قربه وضمن معنى الإرخاء والسدل والمراد بعليهن على جميع أجسادهن ولابد من الجلباب عند الخروج ﴿ **يأأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ ( سورة الأحزاب ٥٩ ) . ولما نزلت خرج نساء الأنصار كان على رءوسهن الغربان والجلباب هو الملاءة التى تلتحف بها المرأة فوق ثيابها على أصح الأقوال وهو يستعمل غالبا إذا خرجت من دارها كما روى الشيخان وغيرهما عن أم عطية رضى الله عنها قالت .

أمرنا رسول الله ﷺ نخرجهن فى الفطر والأضحى والعواتق والحيض وذوات الخدور فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين . قلت يارسول الله إحدانا لايكون لها جلباب قال : لتلبسها أختها من جلبابها . وعلم أن الجلباب مطلوب عند الخروج وأنها لاتخرج إن لم يكن لها جلباب والجلباب رداء ساتر من القرن إلى القدم ويجب تغطية القدمين أيضا ويشهد بهذا حديث ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله له يوم القيامة فقالت أم سلمة فكيف يضع النساء بذيولهن قال يرخين شبرا فقال إذن تنكشف أقدامهن قال فيرخين ذراعا لايزدن عليه » أخرجه الترمذى .

وهذا دليل على وجوب ستر قدميها وعلى هذا أجرى العمل من النساء فى عهده ﷺ وما بعده وترتب عليه بعض المسائل الشرعية فقد أخرج مالك وغيره عن أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنها سألت أم سلمة زوج النبى ﷺ فقالت إنى امرأة أطيل ذيلى وأمشى فى المكان القذر قالت أم سلمة قال رسول الله ﷺ يطهره مابعده ، وعن امرأة بنى عبد الأشهد قالت : « قلت يارسول الله إن لنا طريقا إلى المسجدمنتنة فكيف نفعل إذا أمطرنا قال أليس بعدها طريق هى أطيب منها ؟ قالت قلت بلى قال فهذه بهذه » .

من أجل ذلك كان من شروط المسلمين الأولين على أهل الذمة أن تكشف نساؤهم عن سوقهم وأرجلهم لكى لايتشبهن بالمسلمات كما جاء فى اقتضاء الصراط المستقيم بمخالفة أصحاب الجحيم ولابد من العمل بما فى آيتى النور

﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ ، ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن** ﴾ وكذلك العمل بما فى سورة الأحزاب ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ .

فإن المرأة يجب عليها إذا خرجت من دارها أن تختمر وتلبس الجلباب على الخمار لأنه ستر لها وأبعد أن يصف حجم رأسها وأكتافها وهذا أمر يطلبه المشرع أو لبس الجلباب بدون الخمار على أن يكون غير شفاف ويلبس من الرأس فنجد بعض النساء يلبسن الجلباب أو العباءة على الخمار وهذا عمل بما فى سورة النور والأحزاب وكما قال رسول الله ﷺ إن لم تكن لها جلباب تعطيها أختها من جلبابها فإن لبس الجلباب هو الفرض الذى فرضه الله ورسوله . والجلباب بالشروط الشرعية وبالمعنى اللغوى .

تكلمنا عن الجلباب ووصفه والجلباب الغرض من ستر زينة المرأة سواء خرجت إليهم أو دخلوا عليها على كل حال لابد أن تتجلبب .

ويؤيد هذا ماقاله قيس بن زيد أن رسول الله ﷺ طلق حفصة بنت عمر فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها فتجلببت فقال رسول الله ﷺ : « إن جبريل أتانى فقال لى أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وهى زوجتك فى الجنة » .

**الشرط الرابع :**

أن يكون صفيقا لا يشف .

لأن الستر لايتحقق إلا به وأما الشفاف فإنه يزيد المرأة فتنة وزينة وفى ذلك يقول ﷺ : « سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد فى مسيرة كذا وكذا » .

وأراد ﷺ النساء اللواتى يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذى يصف ولا يستر فهن كاسيات بالإسم عاريات فى الحقيقة .

قال ابن عبد البر وعن أم علقمة عن ابن علقمة قالت :

رأيت حفصة بنت عبدالرحمن بن أبى بكر دخلت على عائشة وعليها خمار

رقيق يشف عن جبينها فشقته عائشة عليها وقالت أما تعلمين ماأنزل الله فى سورة النور ثم دعت بخمار فكستها .

وعن هشام بن عروة :

أن المنذر بن الزبير قدم من العراق فأرسل إلى أسماء بنت أبى بكر بكسوة من ثياب مروية وقوهية[1] رقاق عتاق بعدما كف بصرها قالت فلمستها بيدها ثم قالت أف ردوا عليه كسوته قال فشق ذلك عليه قال ياأمة إنه لايشف قالت إنها إن لم تشف فإنها تصف .

وعن عبدالله بن أبى سلمة :

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كسى الناس القباطى ثم قال لاتدرّعها نساؤكم فقال رجل ياأمير المؤمنين قد ألبستها امرأتى فأقبلت فى البيت وأدبرت فلم أره يشف فقال عمر إن لم يشف فإنه يصف . ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها .

إنما الخمار ماوارى البشرة والشعر .

ويجب ستر العورة بما لايصف لون البشرة من ثوب صفيق لا داعى للأقمشة الخفيفة ولا يجوز الستر بما يظهر فيه لون البشرة من ثوب رقيق لأن الستر لايحصل بذلك فنجد كثيرا من النساء تلبس الطرحة الشيفون الخفيفة الملفوفة التى تصف لون البشرة وتحدد العورة وهذه منهى عنها شرعا .

**الشرط الخامس :**

أن لايكون مبخرا مطيبا .

فالأحاديث كثيرة وقد نهى رسول الله ﷺ النساء عن التطيب إذا خرجن من بيوتهن .

قال رسول الله ﷺ إن المرأة التى تلبس جلبابا معطراً لاتقبل صلاتها .

عن موسى بن يسار عن أبى هريرة أن امرأة مرت به فعصف ريحها فقال يأمة الجبار ، المسجد تريدين قالت نعم قال وله تطيب قالت نعم قال فارجعى

---

(١) مروية وقوهية نوع من أنواع القماش .

فاغتسلى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن امرأة تخرج إلى المسجد تعصف ريحها فلا يقبل الله منها صلاة حتى ترجع إلى بيتها فتغتسل » .

وعن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ : « أيما إمرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهى زانية » .

عن زينب الثقفية أن النبى ﷺ قال إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تقربن طيبا ، وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة .

وقد ذكر ابن خزيمة قول النبى ﷺ لايقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل .

هذا وقال رسول الله ﷺ للمرأة المتعطرة أن ترجع لأن الثياب معطرا ولا تقبل صلاتها إلا أن ترجع فكيف بالتى تخرج بالفستان الضيق والجونلة القصيرة والشعر العارى فقد كل شروط الزى وليس العطر فقط وإذا قلت لها يافتاه إرجعى إلى الله فتقول أنا عادية أدعو لك ياأختى بأن يهديك الله إلى الصراط المستقيم وأن يجعلك من أهل جنة النعيم فلا يصح أن تخرج المرأة بالعطر سواء فى المسجد أو فى الطريق أو غيره من الأماكن فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وأصبح هذا شرط من الشروط التى يجب توافرها فى الزى الشرعى فإن كل شيء فى الإسلام لابد أن ينفذ بالشروط التى اشترطها الله ورسوله وليس بشروطنا ولا بشروط المجتمع الذى نعيش فيه أو بالتقاليد التى ورثناها من اليهود والنصارى وغيرهم .

**أما الشرط السادس :**

هو ألا يشبه لباس الرجل .

ورد فى الأحاديث لعن المرأة التى تتشبه بالرجل فى اللباس أو غيره .

عن أبى هريرة قال : لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل .

وعن عبدالله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال .

وعن ابن عباس قال : لعن النبى ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال أخرجوهم من بيوتهم قال فأخرج النبى ﷺ فلانا وأخرج عمر فلانا وفى لفظ لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال .

وعن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لايدخلون الجنة ولا ينظر إليهم يوم القيامة العاق والديه والمرأة المترجلة والمتشبهة بالرجال والديوث » .

عن ابن أبى ملكية واسمه عبدالله بن عبيدالله قال قيل لعائشة رضى الله عنها أن المرأة تلبس النعل فقالت: لعن رسول الله ﷺ الرجلة من النساء .

وفى هذه الأحاديث دلالة واضحة على تحريم تشبه النساء بالرجال . سمعت أحمد سئل عن الرجل يلبس جاريه القرطعة ( أى ) قباء قال لايلبسها من زى الرجال ولا يشبهها بالرجال قال أبو داود قلت لأحمد يلبسها النعل الصرارة قال لا إلا أن يكون لبسها للوضوء .

قلت للجمال ؟ قال لاقلت فيجز شعرها قال لا فقد نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها فقد أورد الذهبى تشبه المرأة بالرجال وتشبه الرجال بالنساء فى الكبائر ثم قال فإذا لبست المرأة زى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله .

ولزوجها إذا مكنها من ذلك أو رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ورسوله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** ﴾ ( سورة التحريم ٦ ) . ولقول النبى ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة » .

فإن الرجل الذى ترك زوجه متشبهة بالرجال أو متبرجة قال عنه رسول الله ﷺ يكون فى آخر أمتى رجال يركبون السرج ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات فلا يجوز للرجال التشبه بالنساء فى اللباس والزينة التى تختص بالنساء والمراد التشبه فى الزى وبعض الصفات والحركات لا التشبه فى أمور الخير فلا

يجوز للمرأة أن يكون زيها متشابها لزى الرجل فلا يحل لها أن تلبس رداءه وإزاره كما تفعل بنات المسلمين فى هذا العصر من لبسهن الجاكيت والقميص والبنطلون .

وكذلك لبس الأبيض فنجد الرجال تلبس الأبيض فى الإحرام وأيضا النساء فهو تشبه لأنه أى اللون الأبيض فى الإحرام خاص بالرجال ولا تجد رجلا يلبس فى الإحرام إلا الأبيض فعلى المرأة لبس الألوان الداكنة فإن فيها غض البصر وأيضا عدم التشبه بالرجال فالمرأة استحب لها رسول الله ﷺ كما مر فى الحديث اللون الأسود فإذا لاتتمكن من لبس الأسود تلبس اللون البنى أو الكحلى أو الرصاصى الغامق حتى يكون لونا مخالفا للون الرجالى ، وكذلك فيه غض البصر قال رسول الله ﷺ : عليكم بالبياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم واختص به الرجال فعلى المرأة لبس الألوان الداكنة حتى تبعد عن لون اختص به الرجال وأيضا لأنه زينة فقد أجمع فيه الزينة والمشابهة .

لذلك يتبين أنه لابد من أن يبين لباس الرجال والنساء فرق وأن يكون لباس النساء فيه الاحتجاب والاستتار وإن كان اللباس غالبه لبس الرجال نهت عنه المرأة فإذ اجتمع فى اللباس قلة الستر والمشابهة نهى عنه من الوجهين .

**الشّرط السابع :**

ألا يشبه لباس الكافرات .

لقد تقرر فى الشرع أن لايجوز للمسلمين رجالا ونساء التشبه بالكفار لقوله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم .

فلك ياأختى أن تعرفى شروطه من الله ورسوله لا من مصممى الأزياء الغربيين الذين لايأخذون من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا تحاول التقارب بالزى الذى يقال عنه عاديا فتكونى عادية بين الناس وليست عادية فى شرع الله . بل متشبهة بزى الكاسيات العاريات أو زى النصارى واليهود وغيرهم وكلها أزياء عارية ضيقة لاتتحقق مع شريعة محمد ﷺ .

**الشرط الثامن :**

أن لايكون ثوب شهرة أى زى يخالف ملبوس الناس من الفقراء وهذا

حسب النية فى العمل نفسه سواء كان الثوب نفيسا يلبسه قاصداً به الدنيا وزينتها أوخسيساً يلبسه إظهاراً للزهد والرياء . لحديث ابن عمر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً .

وعلى المرأة أيضا عندما تتجه إلى طاعة الله ورسوله جملة فرائض يجب أن تلتزم بها مثل غض البصر عن الرجال الأجانب وهى مذكورة ضمن آية الحجاب وكذلك عدم مصافحة الرجال الأجانب والتنمص أى ترقيق الحاجب . عدم الخلوة بالرجال الأجانب إلا مع ذى محرم وحب المسلمين والمحافظة على الصلوات فى أوقاتها وعدم الاختلاط بالرجال فى غير ضرورة .

وكثير من الفرائض التى ذكرت جزءا منها فى فصل ماهو الإسلام وقبل أن ننتهى من هذا الفصل ونقطع الطريق على المضللين والمضللات أن نؤكد للأخت المسلمة أن الإسلام لا يمنع المرأة أن تأخذ من الملبس الحسن والمظهر الذى يشيع الرغبة الجمالية فى حسنها فلا يمنعها من التزين لزوجها فى منزلها .

* * *

# المسلمة فى جهاد دائم

تعيش المرأة المنتسبة إلى الإسلام فترة عصيبة فهى بعيدة عن تعاليم دينها وواجبات إسلامها أسيرة لتيارات عنيفة أغرتها فاندفعت معها بعنف فى غيبة وعيها الإسلامى إلا أنه من فضل الله أن بقيت فى مجتمعنا الذى ينتسب إلى الإسلام بقية خير تتطلع إلى أداء واجبها فى الدعوة إلى الله واتباع سبيله الذى لايضل من سار فيه أبدا والدعوة إلى ارتداء الزى الذى يتمشى مع تعاليم الإسلام وارتداء هذا الزى الذى يعرض المسلمة للنقد من بعض الناس والسخرية من البعض الآخر ولكن هذا كله لاينبغى أن يكون مثبطا لهذا الاتجاه النظيف الشريف ولا من أن تجاهد الرائدات وتبذل ماتستطيع من طاقة فى تصميم وإصرار .

وإن النقد والسخرية لاينبغى فى منطق الإيمان الصادق أن يزعزع الثقة بالنفس والتفانى فى مرضاة الله تعالى بالجهاد المستمر والتفانى فى مرضاة الله سبحانه عاقبته الفوز للدعاة إلى الله والحق والخذلان للمتمردين على الدعوة والساخرين منها .

يقول الحق جل جلاله : ﴿ **قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون** ﴾ ( سورة المطففين ٣٦ ) . والتبعة الملقاه على عاتق الرائدات الداعيات إلى الله تتطلب الصبر وعدم الالتفات إلى المثبطين يقول رسول الله ﷺ : « لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى

تقوم الساعة » .

وعلينا أن نلتمس رضا الله وحده ولا نسكت ولا نجامل ولا نجبن فقد قال رسول الله ﷺ : « من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » . إن بعض الأخوات يعتقدن أن الزى الذى يرضى تعاليم الإسلام يقف فى طريق زواجهن وهذه دعاية مسمومة يجب أن تتنبه المرأة المسلمة إليها وخبث هذه الدعوة ظاهر لمن تتأملها من العاقلات لأن المرأة بطبيعتها حريصة على الزواج .

والرغبة الفطرية فى الزواج عند المرأة تجعلها تأخذ كل مايقال عما يقف فى طريق هذه الرغبة أخذا سريعا من غير أن تفتشه تفتيشا جيدا وتدقق فيه..

ونحن إذا نظرنا نظرة واقعية والصراحة فى هذا المجال يجب أن تكون نجد أن أفسق خلق الله من الرجال إذا أراد الزواج يفتش كثيراً وطويلاً عن إنسانة يطمئن على عرضها مع فسقه لأن الرجل بطبيعته يهمه أولاً وقبل كل شيء أن تكون زوجته له وحده .

فإذا كان هذا هو أمر الفاسق فما بالنا بالإنسان المؤمن الذى يكون فى سلوكه موضع رضاء الله سبحانه وتعالى لابد أن يختار الإنسانة العفيفة الأمينة والعفة والأمانة مظهر وعنوانه التستر والاحتشام .

وبعد هذا يتضح أن العفة والأمانة على العرض هى التى تجذب الرجل المسلم ، وليس التعرى والاستهتار ولا يعنينا كما لايعنى هذه القاعدة أن يكون هناك شذوذ من بعض الرجال فمثل هؤلاء تخبث نفوسهم ولا مانع لديهم أن يتاجروا بأعراض زوجاتهم وفى مثل هؤلاء قال الله تعالى :

**﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات . والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرءون مما يقولون ﴾** النور / ٢٦ .

وإن الإسلام يرشد ويدعو إلى اختيار الرجل الصالح ليكون زوجا يؤدى فرائض الإسلام من صلاة وصيام وغيرها من الفرائض . قال رسول الله ﷺ :

« إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » رواه الترمذى .

واعلمى ياأختى أن أمر الزواج كأمر الرزق ، لا دخل فيه للزى ولا لغيره . وإنما هو تدبير الله سبحانه وتعالى . وتأملى معى قول رسول الله ﷺ : « إحفظ الله تجده أمامك . تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ماأخطأك لم يكن ليصيبك . وأن ماأصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً » .

وتأملى معى أيضا قوله صلوات الله وسلامه عليه : « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه شمله ، وآتته الدنيا وهى راغمة . ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله . ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له » .

فإذا كانت هناك معارضة لهذه الدعوة الشريفة فإنه مهما يكن مصدرها ـــ يجب ألا تكون لهذه المعارضات قيمة أو أثر أو يكون لها أى معنى من معانى السلبية فى نفوس الرائدات المسلمات ذلك أن لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . كما قال المعصوم ﷺ وليكن للرائدات المسلمات الداعيات إلى الله والحق والفضيلة قدوة حسنة فى أولئك المجاهدين الأوائل كبلال بن رباح رضى الله عنه الذى كان أمية بن خلف يأخذه فى الصحراء إذا حميت الشمس وقت الظهيرة ، ويقلبه على الرمال الملتهبة ظهراً لبطن ويجيء بالصخرة الجسيمة فتلقى على صدره ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بدعوة محمد فما يزيد عن ترديد ذلك النشيد الخالد . أحد .. أحد . ولو قارنت الداعين إلى الله فى عصرنا بين موقف الساخرين منها وموقف بلال رضى الله عنه ، لوجدت أن النقد والسخرية أهون بكثير ، وكثيرا جدا حتى أنه لاتصح المقارنة . فأنت ياأختى حين تقومين بالدعوة ترضين الله سبحانه وتعالى ، وبمجهود هين ، عليك أولا أن تكونى نموذجا حيا للدعوة التى تنطلق من بين شفتيك ثم حاولى مع من حولك من الأهل والخلطاء فى أى مجال من مجالات التعامل . فذلك العمل هو التجارة الرابحة كما يقول سبحانه وتعالى : **﴿ ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله . وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾** ( سورة الصف ١٠ ، ١١ ) .

وليكن الطريق ولا طريق سواه . مابين الله فى قرآن وسنة نبيه حيث بينها الرسول الكريم وأشار إلى ذلك فى قوله : « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة . الناجون واحدة والباقون هلكى . قيل ومن الناجون يارسول الله ؟ قال أهل ألسنة والجماعة . قيل وما أهل السنة والجماعة ؟ قال : ماأنا عليه اليوم وأصحابى » .

وليس المراد حصر الفرق فى ثلاث وسبعين عددا وإنما المراد كثرة الفرق وتعددها .

واعلمى ياأختى — وفقك الله أن خير طريق يؤدى إلى السعادة فى الدنيا والنجاة فى الآخرة هو طاعة الله ورسوله والتمسك بما بين الله فى القرآن وسنة رسوله ﷺ ورضى عنه وعن أصحابه ومن اتبع هداهم .

أما من استحب العمى على الهدى وآثر حب الناس على حب الله فلا تحزن على إعراضهم ولن تأس على قوم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ﴿ **ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ ( سورة الأنفال ٢٣ ) .

﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله. والذين آمنوا أشد حبا لله . ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كره فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا** ﴾ ( سورة البقرة ١٦٥ — ١٦٧ ) .

ونضرب لك الآن الأمثال بالرهط الكريم من الأنبياء فى موكب الإيمان تعال معى استمعى إلى قصة نوح عليه السلام وكيف تقطعت وشيجة الأبوة بسبب الإيمان واختلاف الدين بينهما . حيث قال إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح قال تعالى : ﴿ **ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين : قال : يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين** ﴾ هود / ٤٥ — ٤٧ .

واستمعى إلى قوله تبارك وتعالى فى سورة مريم / ٤٨ ﴿ **وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ الممتحنة / ٤ .

فنجد الأسوة الحسنة فى إبراهيم وقومه حين يعتزل أباه وأهله حين يرى منهم الإصرار على الضلال وأصحاب الكهف يعتزلون أهلهم وقومهم وأرضهم ليخلصوا لله بدينهم ويفروا إلى ربهم بعقيدتهم حين عز عليهم أن يجدوا لها مكاناً فى الوطن والأهل والعشيرة .

قال تعالى : ﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا** ﴾ ( سورة الكهف ١٣ ــ ١٦ ) .

وامرأة نوح وامرأة لوط يفرق بينهما وبين زوجيهما حين تفترق العقيدة :

﴿ **ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ ( سورة التحريم ١٠ ) .

واستمعى إلى قصة أصحاب الأخدود إنها قصة فئة آمنت بربها حقيقة إيمانها ثم تعرضت للفتنة من أعداء جبارين وارتفع الإيمان بهذه الفئة وانتصر على الحياة فلم ترضخ الفئة المؤمنة لتهديد الجبارين الطغاة و لم تفتن هذه الفئة المؤمنة عن دينها وهى تحرق بالنار حتى الموت وجلس الجبارون يتلهون بمنظر الحياة تأكلها النار وكلما ألقى فتى أو فتاة صبية أوعجوزاً طفلاً أو شيخاً فى النار فرحت الفئة الطاغية فهو حادث ارتفعت فيه أرواح المؤمنين والناس جميعا يموتون ولكن لاينالون هذه المكانة .

قال تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين** ﴾ آل عمران / ١٦٩ — ١٧٠ .

والذين يحاربون الفئة المؤمنة يمهلهم الله ليوم تشخص فيه الأبصار .

قال تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رءوسهم لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء** ﴾ إبراهيم / ٤٢ — ٤٣ .

فإن التوجيهات القرآنية والتربية النبوية توجه قلوب الدعاة والفئة المؤمنة إلى الجنة وإلى الصبر على الاستهزاء والعذاب .

فكان رسول الله ﷺ يرى عماراً أو أمه وأباه رضى الله عنهم يعذبون العذاب الشديد في مكة فما يزيد على أن يقول صبراً آل ياسر موعدكم الجنة . فحين تجدى الاستهزاء بك والسخرية قولى كما قال واحد من الرهط الكرام ﴿ **إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون** ﴾ هود / ٣٨ .

وقال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ ( سورة العنكبوت ٦٩ ) .

فلابد ياأختى من الإعراض عمن تولى عن ذكر الله ويقصر اهتمامه على شئون الحياة الدنيا وكذلك الإعراض عن كل من يسخرون منك ومن الدعاة ﴿ **فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** ﴾ النجم / ٢٩ — ٣٠ .

* * *

## ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

قال الله تعالى : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ أى ذكر العبد ربه أفضل من كل شىء .

قال تعالى : ﴿ **واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** ﴾ ( سورة الأعراف ٢٠٥ ) .

والغفلة نصيب الإنسان كثيرا فيترك شرع الله غافلاً عنه ويتجه إلى الدنيا أو يغفل عن ذكر ربه وقال تعالى : ﴿ **واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ ( سورة الأنفال ٤٥ ) . وقال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ الأحزاب / ٤١ ، ٤٢ . وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت » رواه البخارى .

وذكر الله فى أى حال وفى أى وقت وكان رسول الله ﷺ يذكر الله فى كل أحواله . قال تعالى : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم** ﴾ آل عمران / ١٩٠ ــ ١٩١ .

وفى رواية لمسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال النبى ﷺ : « إن لله ملائكة سيارة يتبّعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملئوا مابينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم من أين جئتُم فيقولُون جئنا من عند عبادٍ لكَ فى الأُرض يسبحونك ويكبرونك ، ويهلّلونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألونى ؟ قالوا يسألونك جنتَّك قال وهل رأوْا جنتِّى ؟ قالو لا أى رب قال : فكيف لو رأوْا جنتى ؟ قالوا

ويستجيرونك قال : وممَّ يستجيرونى ؟ قالوا : من نارِكَ يارب . قال : وهل رأوْا نارى ؟ قالوا لا قال فكيف لو رأوْا نارى ؟ قالوا ويستغفرونك فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ماسألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون رب فيهم فلان عبد خطاء . إنما مر فجلس معهم فيقول وله غفرت هم القوم لايشقى بهم جليسهم » هذا هو فضل مجالس الذكر ومجالس العلم حاولى من التقرب منها بعد التزامك بشرع الله وتنفيذ أوامره حاولى أن تحافظى على طاعة الله حتى لا ترتكبى الذنوب وقال تعالى مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد واعلمى أن عمرك ووقتك لابد أن يستثمر فى طلب العلم أو دعوة الناس للخير أو ذكر الله . أو أى عمل يرضى الله تبارك وتعالى . وإليك بعض الأدعية المأثورة عن النبى ﷺ فى اليوم والليلة .

## ومن الأدعية القرآنية :

**اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** . ( الفاتحة / ٦ ـــ ٧ ) .

**ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .** ( سورة البقرة / ٢٥٠ ) .

**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** . ( سورة البقرة / ١٢٧ ) .

**ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** . آل عمران / ٨ .

**ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنَّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد** . آل عمران / ١٩٣ ـــ ١٩٤ .

**ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** . سورة البقرة / ٢٨٦ .

**﴿ ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾** ( سورة يونس ٨٥ ، ٨٦ ) .

### ١ ــ دعـــاء النوم :

● باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه . إن أمسكت نفسى فاغفر لها . وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين .

● أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ( ثلاث مرات ) .

● لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

● اللهم أسلمت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك . آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت .

● قراءة سورة الصمد والمعوذتين ثلاث مرات .

### ٢ ــ دعـــاء القيام من النوم :

● الحمد لله الذى أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور .

● الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره .

● لا إله إلا الله وحده لاشريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

● الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة . الحمد لله الذى بعثنى سالما سويا . أشهد أن الله يحى الموتى وهو على كل شيء قدير .

● لا إله إلا أنت سبحانك . اللهم استغفرك لذنبى وأسألك رحمتك . اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى . وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

### ٣ ــ إذا فزع من النوم :

● أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون .

**٤ ــ إذا أصابه الأرق :**

● اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك أجمعين أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى عز جارك وتبارك اسمك .

● اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم لاتأخذك سنة ولا نوم ياحى ياقيوم اهد ليلى وأنم عينى .

**٥ ــ دعاء التخلى ( قضاء الحاجة ) :**

● اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث .

**٦ ــ دعـــاء الخروج من الخلاء :**

● الحمد لله الذى أذاقنى لذته وأبقى فىّ قوته ودفع عنى أذاه .

● غفـــرانك .

**٧ ــ دعـــاء لبس الثوب :**

● اللهم إنى أسألك من خيره وخير ماهو له . وأعوذ بك من شره وشر ماهو له .

● الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة . ( فى حالة لبس الثوب الجديد ) .

**دعـــاء خلع الثوب :**

● باسم الله الذى لا إله إلا هو .

**٩ ــ إذا رأى وجهه فى المرآه :**

● اللهم أنت حسنت خَلقِى فحسن خلقى وحرم وجهى على النار ، الحمد لله الذى صور خلقى فعدله وكرم صورة وجهى فأحسنها وجعلنى من المسلمين .

**١٠ ــ دعـــاء الطعام :**

● اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار . باسم الله ( عند تناول

الطعام ) .

● الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ( عند الانتهاء من الطعام ) .

● باسم الله أوله وآخره . ( فى نهاية الأكل إن نسى أوله ) .

● الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة . ( عند الانتهاء من الطعام ) .

● أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة . ( يقوله الضيف لصاحب البيت ) .

### ١١ ـ دعـــاء الصائم إذا أفطر :

● اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت .

● اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم .

### ١٢ ـ دعـــاء الخروج من المنزل :

● باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

### ١٣ ـ دعـــاء دخول المنزل :

● اللهم إنى أسألك خير المولـج وخير المخرج . باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ـ ثم يسلم على أهله .

### ١٤ ـ دعـــاء المباشرة :

● باسم الله . اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا .

### ١٥ ـ دعـــاء الوضـــوء :

● اللهم اغفر لى ذنبى . ووسع لى فى دارى . وبارك لى ف رزقى ( أثناء الوضوء ) .

● أشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين . ( بعد

الوضوء ) .

**١٦ ـــ دعـــاء الآذان :**

● اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته .

**١٧ ـــ دعـــاء المشى إلى المسجد :**

● اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن يسارى نورا وفوق نورا وتحتى نورا وأمامى نورا وخلفى نورا واجعل لى نورا .

**١٨ ـــ دعـــاء دخول المسجد :**

● أعوذ بالله العليم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم .

● اللهم صل وسلم على محمد . اللهم افتح لى أبواب رحمتك .

**١٩ ـــ دعـــاء الخروج من المسجد :**

● اللهم صل على محمد .

● اللهم إنى أسألك من فضلك .

**٢٠ ـــ دعـــاء الاستخارة الشرعية :**

( بعد صلاة ركعتين من بعد الفريضة )

● اللهم إنى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ( ويسمى حاجته ) خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ( أو فى عاجل أمرى وآجله ) فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ( أو فى عاجل أمرى وآجله ) فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم ارضنى به .

**٢١ ـــ دعـــاء صلاة الحاجة :**

● يصلى ركعتين ثم يثنى على الله تعالى ويصلى على النبى ﷺ ويقول :

لا إله إلا الله الحليم الكريم . سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين . أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم . لا تدع لى ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها ياأرحم الراحمين . ( ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة فإنه يقدر ) .

**٢٢ ــ دعـــاء التهجد إذا قام من الليل :**

● اللهم لك الحمد . أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد . لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد . أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤلك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق . اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفرلى ماقدمت وما أخرت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى . أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

**٢٣ ــ دعـــاء ختام المجلس :**

● سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

**٢٤ ــ دعـــاء السفر :**

● يقول المقيم للمسافر : استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وأقرأ عليك السلام . عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف . اللهم اطوله البعد وهون عليه السفر . زودك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيثما كنت .

● ويقول المسافر للمقيم : استودعك الله الذى لا تضيع ودائعه .

● ويقول المسافر : اللهم بك أصول وبك أجول وبك أسير اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى . اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده . اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل .

اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد .

● ويقول المسافر فى العودة الدعاء السابق ويزيد عليه آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون .

**٢٥ ـ دعـــاء ركوب الدابة :**

● باسم الله . الحمد لله الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

**٢٦ ـ إذا أراد دخول القرية أو البلدة :**

● اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين . أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها .

**٢٧ ـ إذا نزل منزلاً :**

● أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق .

**٢٨ ـ يقول المسلم لأخيه الذى تزوج :**

● بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير .

**٢٩ ـ تعويـذ الأطفـال :**

● أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

**٣٠ ـ إذا ابتلى بالدين :**

● اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك . واغننى بفضلك عمن سواك . .

**٣١ ـ إذا اشتكى** يضع يده على موضع الألم ويقول :

● باسم الله ( ثلاث مرات ) أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر ( سبع مرات ) .

**٣٢ ـ إذا عاد مريضا :**

● اللهم أذهب البأس رب الناس . أشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لايغادر سقما ( ويمسح بيده عليه ) .

● أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ( سبع مرات ) .

**٣٣ ـ دعـــاء العزاء :**

إن لله ماأخذ وله ماأعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب .

**٣٤ ـ دعـــاء دخول المقابر :**

● السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . نسأل الله لنا ولكم العافية .

**٣٥ ـ إذا رأى مايحب :**

● الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

**٣٦ ـ إذا رأى مايكره :**

● الحمد لله على كل حال .

**٣٧ ـ إذا وقع له مايختاره :**

قدر الله وما شاء فعل .

**٣٨ ـ إذا غلبه أمر :**

حسبنا الله ونعم الوكيل .

**٣٩ ـ إذا استصعب عليه شيء :**

● اللهم لا سهل إلا ماجعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا ماشئت سهلا .

**٤٠ ـ إذا أصابته مصيبة :**

● إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى منها خيرا .

## ٤١ ــ دعـــاء الهم أو الحزن أو الكرب :

● لا إله إلا الله الكريم العظيم سبحانك تبارك الله رب العرش العظيم . الحمد لله رب العالمين توكلت على الحى الذى لايموت . الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا . اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين . وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت . ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث . لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من المسلمين . اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك . عدل فىّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى . لاحول ولا قوة إلا بالله .

## ٤٢ ــ إذا غضـــب :

● أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

## ٤٣ ــ إذا عرض له الشيطان :

● أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه .

## ٤٤ ــ دعـــاء رؤية المطر :

● اللهم صيبا نافعا ( مرتين أو ثلاث ) .

● اللهم حوالينا ولا علينا . اللهم على الآكام والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر . ( إذا كثر المطر وخيف ضرره ) .

## ٤٥ ــ دعـــاء الرعد والصواعق :

● اللهم لاتقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .

● سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ( ثلاثا ) .

## ٤٦ ــ إذا عصفت الريح :

● اللهم إنى أسألك خيرها وخير مافيها وخير ماأرسلت به . وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ماأرسلت به .

### ٤٧ ـ دعـــاء رؤية الهلال :

● الله أكبر . اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى . ربى وربك الله هلال خير ورشد .

( ثم يقول ثلاثا ) اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شره .

* * *



# إرجعى إلى الله

سارعى ياأختى المسلمة إلى طاعة الله وانتهزى فرصة وجودك فى هذه الدنيا الزائلة الغالية .

سارعى قبل الندم وتمنى الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى لتدارك مافات . قال تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون . قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسئَل العادين . قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ ( سورة المؤمنون ٩٩ ـ ١١٥ ) .

يبدأ هذا المشهد الرهيب بمنظر الاحتضار وإعلان التوبة عند الموت وطلب الرجعة إلى الدنيا لتدارك مافات والعمل للآخرة ثانيا فماذا كان الرد إنها كلمة هو قائلها فاستيقظوا وقد تقطعت بينهم الروابط والأنساب ثم يعرض ميزان الحسنات والسيئات وتمت عملية الوزن بسرعة الذين تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم ، وتبين الآية أن الاعتراف لايجدى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ربنا أخرجنا ـــ موقف تبدو فيه المرارة والشقوة فماذا

كان الرد ؟ التوبيخ اخسئوافيهاولا تكلمون ثم بعد ذلك السخرية من المؤمنين إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون وموقفهم قريب من الذين يسخرون من المسلمين سواء السخرية من الحجاب أو اللحية أو أى فرض من الفرائض ولم يقتصروا على أنفسهم فى التقصير فى الطاعة ولكن بلغ بهم السفه أن يسخروا ممن يرجون رحمة الله ويضحكون عليهم ، فانظر إلى جزائهم ﴿ **إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون** ﴾ ( سورة المؤمنون !!! ) .

اصبرى ياأختى على الإيذاء والتهكم فإنك تنالين الأجر فى الآخرة ، كما سمعت قول الله تبارك وتعالى فإن فى طاعة الله ورسوله النجاة فى الآخرة والنجاة من عذاب القبر وتعالى معى استمعى لحديث رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة يتراءون الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى العابر من الأفق عن المشرق أو المغرب لتفاضل بينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء والرسل قال والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقواالمرسلين » فتأملى معى ياأختى المسلمة كيف تصلين إلى درجات الأنبياء بطاعة الله ورسوله وأداء فرائضه عليك بلبس الزى الإسلامى مثلا وعدم مصافحة الرجال وصون اللسان عن الغيبة والنميمة وغيرها من النقائص التى نهى الله عنها فى كتابه الكريم وسنة نبيه اجتهدى فى طاعة الله ورضوانه ولا تشترى الدنيا بالآخرة كما قال تعالى : ﴿ **وتذرون الآخرة** ﴾ . ( سورة القيامة ٢١ ) . **أنقذى نفسك** ياأختى المسلمة من ظلمة القبر التى لا يسأل فيها العبد إلا على طاعة الله ورسوله لا على جاه ولا مال ولا دنيا واستمعى معى إلى حديث البراء بن عازب عن رسول الله ﷺ خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير فجعل رسول الله ﷺ يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى القبر ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مراراً ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان من قبل الآخرة وانقطاع عن الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول : اخرجى أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله

ورضوانه فتخرج نفسه تسيل كما يسيل قطر السقاء[1] ثم تنزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين فذلك قول الله تعالى ﴿ **توفته رسلنا وهم لايفرطون** ﴾ ( سورة الأنعام ٦١ ) . قال : فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت بها الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ماهذه الروح فيقال فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به إلى أبواب السماء الدنيا فيفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى إلى السماء السابعة فيقال اكتبوا كتابه فى عليين وما أدراك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ــ فيكتب كتابه فى عليين ثم يقال ردوه إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال فترد إلى الأرض وتعاد روحه فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه فيقولان من ربك وما دينك فيقول: ربى الله ودينى الإسلام وما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله فيقولان مابيديه ؟ فيقول بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت ؟ قال وذلك قول الله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ ( بسورة ابراهيم ٢٧ ) .

فينادى مناد من السماء : صدق عبدى فألبسوه من الجنة وأروه منزله منها فيفسح له مد البصر ثم قال : ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول له أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان الله وجنات النعيم فيقول : بشرك الله بخير . من أنت ؟ فوجهك الذى جاء بالخير ، فيقول : هذا يومك الذى كنت توعد أنا عملك الصالح فوالله ماعلمتك إلاكنت سريعاً فى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله .
فيقول يارب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى .

قال فإن كان فاجراً وكان من قبل الدنيا انقطاع عن الآخرة جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فقال أخرجى أيتها النفس الخبيثة أخرجى بسخط الله

---

( ١ ) السقاء وعاء من جلد والقطر الماء ، أى تسيل روحه .

وغضبه فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من النار فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين تتفرق فيستخرجها وقد تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبلول فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون ردوها إلى الأرض إنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيرمى به من السماء وتلا هذه الآية ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** ﴾ قال فيعاد إلى الأرض فتعاد فيه الروح ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه فيقولان له من ربك وما دينك ؟ فيقول : لا أدرى فيقولان : ماتقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فلا يهتدى لاسمه فيقال محمد : فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك فقلته قال : فيقال له : لادريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح فيقول له من أنت فوجهك الذى بشر فيقول أنا عملك الخبيث فوالله ماعلمتك إلا بطيئاً فى طاعة الله سريعاً إلى المعصية : قال:فيقيض الله له أصم أبكم ومعه مرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه ضربة فيسمعها الخلائق إلا الثقلين ثم يقال افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار .

* * *

# فهرس الكتاب

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضـوع | الصفحـة |
|---|---|


**تـــم بحمـــد الله**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٨/٧١٦

الشرط
الشرط
الإدنـــاء :
الشرط الرابع
الشرط الخامس
الشرط السادس
الشرط السابع

النصر للطباعة الاسلامية
شارع نشاطي شبرا القاهرة
ت : ٧٧٣٢٢١